السبت 25 أيلول 2021
العدد 4447 السنة السادسة عشرة
Samedi 25 septembre 2021 nº 4447 16ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

سالي روني
كتابة الحياة

سقوط رجلَي الفتنة في لبنان والعراق

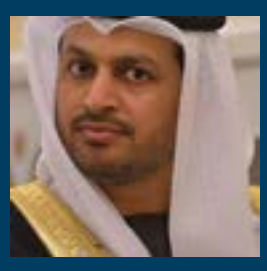

حمد الشامسي
موقوف بتهمة السرقة

ثامر السبهان
يُخفي أموال الدعم

اتفاقية الغاز رهن رفع التعرفة؟
لا كهرباء للفقراء
[5 ـ 4]

(أ ف ب)

تقرير

المشنوق وخليل وزعيتر بعد فنيانوس
الجولة الأخيرة قبل تنحية البيطار؟

5

قضية

لا ثقة بمصرف لبنان
هيئة مستقلّة لـ«إعادة هيكلة المصارف»

6

الحدث

ألمانيا «الكئيبة» تنتخب
الغد ليس أفضل

12

قضية اليوم

«لعنة لبنان» تطيح رجلَي الإمارات والسعودية في لبنان والعراق

الشامسي موقوف والسبهان قيد التحقيق

إبراهيم الأمين

إنها «لعنة لبنان» التي تصيب، عن قصد أو عن غير قصد، كلّ من حاول النيل من هذه البلاد، إن كانوا من الأعداء الخارجيين أو العملاء العاملين ضد مصلحة لبنان أو في خدمة العدو الإسرائيلي، وسواء كان عملهم مباشراً أو من خلال بثّ الفتنة والتحريض على المقاومة وشراء الذمم، وهو ديدن كثيرين من ممثلي دول عربية وأجنبية وجمعيات تدخل باسم دعم المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية.

في السنوات الخمس الماضية، تعرّف اللبنانيون على شخصيّتَين اتخذتا العربية. وفيما لم يُعيَّن خلف له في بيروت، وُزِّعت مهام السفير على أكثر من شخص، وترك له استمرار التواصل مع شخصيات لبنانية عدة، وخصوصاً في المجال الإعلامي.

قبل أسابيع، ضجت القاهرة بأنباء عن تورّط الشامسي في فضائح متنوعة. وانتشرت في العاصمة المصرية روايات عن علاقات غير أخلاقية وعن ضبطه مرة في حالة من السكر الشديد وكان يتحدث بالسياسة ويوجّه الشتائم الى الحكومة المصرية والرئيس عبد الفتاح السيسي وقيادات أمنية رسمية بارزة، ويتفاخر بأن بلاده تملك نفوذاً كبيراً في كل مؤسسات الدولة المصرية بسبب ما تنفقه من أموال. وتبيّن لاحقاً أن السلطات المصرية، في إطار عمل الأجهزة الأمنية فيها لمكافحة تجارة الآثار، عثرت على أدلة تربط الشامسي بتهريب آثار من مصر وبيعها لأفراد أو في مزادات عالمية في أوروبا. وبعد تحقيقات موسعة، جرى توثيق الأدلة وتبيّن أنه كان يستخدم صفته كسفير، وحتى الحقيبة الدبلوماسية، استخدام اسم حمد مبارك الشامسي مدير جهاز الأمن السابق لتسهيل عملياته الاحتيالية ما تسبّب بتورط عدد من الموظفين الرفيعي المستوى في مراكز القرار في أبو ظبي.

وبعدما وثّقت المخابرات المصرية كل الملفات الشخصية وأعمال السرقة والكلام الذي نسب إليه على لسان سيدات كنّ على علاقة خاصة به، طلبت القاهرة من السلطات في أبو ظبي المبادرة بخطوات عملية، فتم نقل الشامسي «مخفوراً» الى أبو ظبي حيث لا يزال قيد الاعتقال.

بعد توقيفه واضطرار أجهزة الأمن الإماراتية الى التحقيق في كل أنشطته، أُرسل الى بيروت من يتولى التدقيق في ملفات خدمته. وتقول مصادر معنّية إن عملية تدقيق في الحسابات وفي العلاقات المالية التي كان مكلفاً بها مع شخصيات وجهات لبنانية ومع إعلاميين ووسائل إعلام، كشفت عن فضيحة كبيرة، إذ إنه كان يسجل أنه دفع لهذا أو ذاك مبلغاً معيناً من المال، فيما كان يدفع قسماً من المال أو لا يدفعه أصلاً. كما تبيّن أن شكاوى وصلت الى مسؤولين إماراتيين، بعضها لسيدات قلن إن الشامسي تزوّجهنّ، وأسكنهنّ شققاً على أساس أنه اشتراها لهنّ، قبل أن يتبيّن لاحقاً أنها شقق مستأجرة بعدما ظهر مالكوها عقب توقف دفع بدلات الإيجار لهم.

المصادر تشير الى أن الفضيحة قد تتجاوز هذه الحدود، الى مستوى التعاون في عمليات تبييض عملة بين بيروت وأبو ظبي، إضافة الى شكوك أخرى، وخصوصاً أن السلطات الأمنية الإماراتية كانت قد أوقفت أحد زملاء الشامسي ممّن عملوا بصفة أمنية في بيروت لفترة طويلة، وأبلغت عائلته أنه حوكم وأدين بتهمة التجنّد لمصلحة حزب الله في لبنان، وتسرّبت أخبار عن وجود نيّة لإعدامه.

وقال مسؤول أمني لبناني إنه على علم بتطورات ملفات الشامسي وإن جهات إماراتية طلبت التعاون في بعض الأمور، لكن أبو ظبي ترفض الكشف عن الأمر الآن، وتخشى أن تصبب الفضيحة العشرات، إن لم يكن المئات، من اللبنانيين الذين يعرفهم الناس بصفة إعلاميين وإعلاميات وسياسيين وسياسيات وناشطين ناشطات، وجميعهم كانوا يتصدّون بصورة دائمة لمهمة الهجوم على حزب الله وإيران.

السبهان رجل السعودية المكروه

مسلسل الفضائح لا يقتصر على سفير الإمارات السابق في لبنان، بل يشمل الدبلوماسي السعودي ثامر السبهان. والأخير ضابط برتبة عميد ركن في القوات المسلحة السعودية، كُلّف بمهام ذات طابع أمني ـ سياسي تحت غطاء دبلوماسي في عدد من الدول، وشغل منصب الملحق العسكري للسعودية في لبنان، قبل أن يعيّن لاحقاً سفيراً لبلاده في العراق، ثم يُرقّى الى رتبة وزير دولة لشؤون الخليج العربي التابع لوزارة الخارجية السعودية.

السبهان المطرود من بغداد ظل حاضراً في أذهان العراقيين، على رغم مرور سنوات على طلب الخارجية العراقية استبداله، في آب 2016، بعد جدل كبير أثارته تحرّكاته التي وُصفت بالاستفزازية والفتنوية وغير الدبلوماسية. وفي حين تحدّث السبهان، قبيل طرده، عن مخطط لاغتياله على يد «أذرع إيران»، اتهمه العراقيون بتأجيج الطائفية وشراء الولاءات واللعب على التناقضات، إلى درجة دفعت بإياد علاوي، صديق السعودية، إلى وصف تصريحاته بـ«المزعجة». واشتُهر السبهان بتوزيعه المال لشراء ولاءات كثيرين من الساسة والنخبة والنافذين. وتميّز عمله بتوسيع نشاطه «السنّي» من ساحة «المكوّن السني» إلى ساحة «المكوّن الشيعي» حيث استعمال عدداً من الساسة والناشطين. لكن في النهاية، ضبقت فظاظته وقلّة خبرته الدور السعودي في العراق، كما هي حال تجربته في الملف اللبناني، على رغم أن المعلومات تشير إلى أنه استمرّ مدّة بعد طرده من بغداد ممسكاً بالملفّ العراقي، وتردّد على الأردن حيث استأنف تدخّلاته في شؤون بغداد، ولا سيما في ما يتعلق بالانتخابات، والتقى سياسيين عراقيين هناك.

تركز عمل السبهان على «مكافحة نفوذ إيران وجماعاتها» في المنطقة العربية. وكان له دور بارز في الفتن المشكلات الأمنية والسياسية التي رافقت الحملة على حزب الله والمقاومة في لبنان، الى جانب دوره في الفتن الدموية في العراق. كما كان عضواً في الغرفة الأمنية العربية ــ الدولية التي تنسّق العمليات ضد إيران وسوريا والعراق، والتي اتخذت من عمان في الأردن مقراً لها. واشتهر بأن كل زيارة له الى عمان تنتهي بحمله حقائب كبيرة محمّلة بالأموال التي يصرفها في العراق على وجه الخصوص، وهو بذل جهداً كبيراً هناك لمنافسة النفوذ القطري داخل العشائر العربية في العراق، وخصوصاً أنه ينحدر من قبيلة شمر.

خلال فترة اعتقال الرئيس سعد الحريري، برز دور السبهان في بناء شبكة متعاونين من سياسيين وإعلاميين ورجال دين في لبنان، جلّهم ممن انشق عن الحريري. وكان يتولّى شخصياً التواصل مع جهات عدة في لبنان، من أجل تنصيب بهاء الحريري بديلاً من أخيه. وهو من نظّم المقابلة الشهيرة للرئيس الحريري مع قناة المستقبل (2017/11/12)، وتولّى شخصياً اختيار (النائبة المستقيلة والإعلامية السابقة) بولا يعقوبيان للقيام بهذه المهمة.

آخر الأخبار الواردة من الرياض، تشير الى أن ملفاً أمنياً ـ مالياً كبيراً فُتح للسبهان، ويتردّد أنه موقوف أو في إقامة جبرية. لكن المؤكد أنه قيد التحقيق، وتمّ توقيف عدد من المقرّبين منه عائلياً ووظيفياً على خلفية شبهات باختلاس ملايين الدولارات من أموال كانت في عهدته، وكانت مخصصة لتقديم مساعدات لأطراف إعلامية وجهات سياسية في العراق ولبنان. وقد جرى التثبت من اختفاء كمية من الأموال التي نقلت من الأردن الى العراق في سنوات خدمته هناك كسفير، أو كمتابع للملف العلاقات مع خصوم إيران والحشد الشعبي في العراق. ويجري التداول في أربيل عن فضيحة كبرى تتعلق بالسبهان في الملف الخاص بالإكراد. واحتمال ضلوعه بدور في تغذية مجموعات كردية ضد تركيا وقطر.

ويقول زوار العاصمة السعودية إن وليّ العهد السعودي محمد بن سلمان أمر برفع الحصانة عن كل من عمل مع السبهان في ملفات العراق ولبنان وسوريا والتحقيق مع كل الذين عملوا في مكاتب بغداد وبيروت وعمان ومن عملوا تحت إمرته في مراكز عسكرية وأمنية حساسة، ومراجعة كل البيانات المالية الخاصة بعمله، والتواصل مع جهات لبنانية وعراقية وأردنية وسورية لمطابقة بعض الأرقام المالية. ويصرّ ابن سلمان على العملية في سياق محاسبة «من يتحملون مسؤولية في فشل سياسات المملكة في هذه الدول» على حد تعبير الزوّار الذين قالوا إن التداول في ملف السبهان لا يزال في إطار ضيق، وإنه لا يمكن الجزم بمصيره ولا بنتائج التحقيقات الجارية.

نقل الشامسي من القاهرة «مخفوراً» الى أبو ظبي حيث لا يزال قيد الاعتقال

التحقيق مع السبهان وكل من عمل معه بشبهة اختلاس ملايين الدولارات

الصفة الدبلوماسية غطاءً لعمل أمني بامتياز. أحدهما شغل منصب سفير دولة الإمارات العربية المتحدة في بيروت، وهو حمد الشامسي. والثاني، شغل منصب الملحق العسكري في السفارة السعودية في بيروت ثم مندوباً لولي عهد السعودية، وهو ثامر السبهان.

الشامسي رجل العلاقات الكاذبة

الشامسي الذي انتقل من بيروت الى العمل سفيراً لبلاده في مصر ومندوباً في جامعة الدول العربية، ظل على تواصل مع فعاليات الساحة اللبنانية. وهو سبق أن أعلن عن نيله الدكتوراه في التاريخ من جامعة بيروت العربية. وقد اشتهر الرجل بنشاطه على صعيد العلاقات العامة، وكان الجميع يتجنب الحديث عن «مغامراته النسائية» التي وأصلها في مصر وتسبّبت له بمشكلات كبيرة. وهو عمل في بيروت على بناء شبكة واسعة من العلاقات مع رجال سياسة وإعلام وفنون ومشاهير وحتى رجال أمن في أجهزة أمنية رسمية. وكان يُعرف بأنه مصدر دعم مالي لمئات الأحزاب والجمعيات والمؤسسات والشخصيات، ووسائل إعلامية وفنية. وقد عمل برفقة شخصية أمنية إماراتية (كانت تحمل صفة دبلوماسية) على بناء شبكة من «المتعاونين» اللبنانيين تولّوا بناء داتا أمنية تركزت على حزب الله والمقاومة وأنصارها ومؤيديها في الساحتين اللبنانية والإماراتية، كما كان يستغل منصبه الدبلوماسي في بيروت لاستخدام عملاء لبلاده، بينهم من يعمل في أجهزة أمنية رسمية، من أجل جمع معطيات جرى تحويلها الى ملفات تذرّعت بها حكومة أبو ظبي لطرد عشرات اللبنانيين والفلسطينيين من إمارات في دولة الإمارات العربية المتحدة بدعوى العمل مع حزب الله أو حركة حماس.

عُيّن الشامسي عام 2015 سفيراً لبلاده في لبنان، وبقي في منصبه حتى نهاية العام الماضي، قبل أن ينتقل في شباط الماضي الى القاهرة سفيراً لبلاده ومندوباً لها لدى الجامعة

(داللاتي ونهرا)

«السعودية - ليكس»

الاستحواذ على أسهم في وسائل إعلام لبنانية وعراقية

عمل ثامر السبهان بصورة مباشرة، ولكن غير معلنة، على ملفات تخص شراء مؤسسات إعلامية أو حصص في مؤسسات إعلامية لبنانية وعراقية بين العامين 2016 و2019، ضمن استراتيجية قرّرها فريق محمد بن سلمان لتعديل نوعية النفوذ السعودي في وسائل الإعلام الحليفة أو الصديقة، كان عنوانها التخلي عن برنامج الدعم غير المنظم واستبداله بدعم مشروط بالحصول على أسهم في أصول هذه الشركات.

وقد جرى إسناد المهمة والإدارة إلى «المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق»، وهي المؤسسة الأكبر سعودياً على صعيد الملكية والنشر وامتلاك امتيازات لنحو 14 مطبوعة وأسبوعية وشهرية. وقد تولت شخصيات سعودية إدارة عملها، من بينها أحمد بن عقيل الخطيب من المؤسسة العامة للتقاعد والأعضاء عزام بن محمد الدخيل وعبد الرحمن بن حمد الراشد وعبد العزيز بن حمد الفهد. وقد عملت هذه المجموعة على الأخذ بتوصيات غير مسجلة في البريد الرسمي قدّمها السبهان ومسؤولون أمنيون ودبلوماسيون لشراء حصص في شركات ومؤسسات إعلامية لبنانية وعراقية على وجه التحديد. وكانت التوصيات ترد على شكل تعليمات من الديوان الملكي.

تنشر «الأخبار» في ما يأتي، وثائق رسمية صادرة عن الإدارة التنفيذية للمجموعة السعودية تتضمن خلاصات لمناقشات وقرارات اتخذت بعد ثلاث سنوات من البحث المباشر والتدقيق العملاني الذي أجرته الشركة على عدد من المؤسسات، من بينها مجموعة «المستقبل» اللبنانية التي كان الرئيس سعد الحريري يسعى إلى بيعها لجهات سعودية، وكذلك منصة «أرقام» السعودية المتخصصة، وصحيفة «اندبندنت» البريطانية. لكننا ننشر في ما يلي الملفات الخاصة بمحطة «أم تي في» وجريدة «النهار» في لبنان، وقناتي «دجلة» و«الشرقية» في العراق.

13 مليون دولار لقناة «M.T.V»

قرار صادر عن اللجنة التنفيذية / الرياض في 2019/11/20

بناء على ما تستوجبه المرحلة الحالية ورؤية المجموعة المستقبلية لا سيما بخصوص تنفيذ الإستثمارات والإستحواذات والدخول في الشركات والمشاريع المشتركة المطلوبة من المجموعة وشركاتها التابعة. وبعد الاطلاع على التقارير المرفوعة للجنة بخصوص الإستحواذ على ما يصل نسبته 40% من تلفزيون MTV، وبعد إستكمال التقييم وحيث كانت حدود التقييم المالي وفقاً للوقائع التالية:

- التقييم النهائي (316): قيمة سالبة بسبب الخسائر.

تقييم المالك: 250 مليون دولار أمريكي.

فقد قررت اللجنة التوصية بالموافقة على الإستحواذ بنسبة 40% من تلفزيون MTV بعد إكمال الدراسة النافية للجهالة من الناحية المالية والموافقة على تفويض الإدارة التنفيذية للمجموعة بالتفاوض على سعر الإستحواذ والموافقة عليه بحد أقصى بواقع 50 مليون دولار أمريكي، أو أن تقوم المجموعة بمنح قرض بحد أقصى 13 مليون دولار سنوياً لمدة خمس سنوات ويكون قابلاً للتحويل إلى إستثمار في رأسمال وملكية التلفزيون بقيمة محددة مسبقاً، وتفويض الإدارة التنفيذية بتوقيع إتفاقيات الشراء وغيرها، والشراكة مع صحيفة النهار وجميع ما يتعلق بذلك في سبيل إتمام الإستحواذ بما فيه تحويل ثمن الشراء ورفع التوصية الى مجلس الإدارة للموافقة عليها وإستكمال إجراء الإفصاحات في حال إقتضى الأمر ذلك، أو بحث إمكانية عدم الإفصاح في حال اشترطت الجهة المستهدفة ذلك.

12 مليون دولار لجريدة «النهار»

قرار صادر عن اللجنة التنفيذية / الرياض في 2019/11/20

بناء على ما تستوجبه المرحلة الحالية ورؤية المجموعة المستقبلية لا سيما بخصوص تنفيذ الإستثمارات والإستحواذات والدخول في الشركات والمشاريع المشتركة المطلوبة من المجموعة وشركاتها التابعة. وبعد الإطلاع على التقارير المرفوعة للجنة بخصوص الإستحواذ على ما يصل نسبته (...)% من صحيفة النهار وبعد إستكمال التقييم وحيث كانت حدود التقييم المالي وفقاً للوقائع التالية:

- التقييم النهائي (121716): قيمة سالبة بسبب الخسائر.

- تقييم المالك: 135 مليون دولار أمريكي.

فقد قررت اللجنة التوصية بالموافقة على الإستحواذ ما نسبته 38% من حصة سعد الحريري في صحيفة النهار بطريقة مناسبة حيث انها غير مجدية حالياً، مقابل دفع مبلغ 20 مليون دولار بحد اقصى لصالح ملكية المجموعة مع إبقاء الحصص بإسمه، مع منح نائلة التويني قرضاً لشراء حصة أخواتها لصالح ملكية المجموعة مع إبقاء الحصص بإسمها، مع إكمال الدراسة النافية للجهالة من الناحية المالية في حال تطلب الأمر ذلك، وتفويض الإدارة التنفيذية بتوقيع إتفاقيات الشراء والشراكة مع صحيفة النهار وجميع ما يتعلق بذلك في سبيل إتمام الإستحواذ بما فيه تحويل المبالغ ورفع التوصية الى مجلس الادارة للموافقة عليها وإستكمال إجراء الإفصاحات في حال إقتضى الأمر ذلك أو بحث إمكانية عدم الإفصاح في حال اشترطت الجهة المستهدفة ذلك.

10 ملايين دولار لقناة «الشرقية»

قرار صادر عن اللجنة التنفيذية / الرياض في 2019/11/30

بناءً على ما تستوجبه المرحلة الحالية ورؤية المجموعة المستقبلية والمشاريع المشتركة المطلوبة من المجموعة وشركاتها التابعة بخصوص الوصول والتأثير. وبعد الإطلاع على التقارير المرفوعة للجنة بخصوص قناة الشرقية، فقد قررت اللجنة الموافقة على تشغيل قناة الشرقية لمدة خمس سنوات، من خلال تحمّل المجموعة تكاليف تشغيلية بحد أقصى 10 مليون دولار أمريكي سنوياً مع الحق بإلغاء الإتفاق بموجب إشعار قبل ستة أشهر من الرغبة بالإنهاء، على أن يكون لنا الحق في تحويل المبالغ المدفوعة إلى الإستثمار في رأسمال وملكية القناة بقيمة محددة مسبقاً، وتفويض الإدارة التنفيذية بتوقيع إتفاقيات مع قناة دجلة، مع استثناء إجراء الدراسة النافية للجهالة وذلك إنطلاقاً من الأهمية الإستراتيجية للقناة، وإستكمال إجراء الإفصاحات في حال إقتضى الأمر ذلك، أو بحث إمكانية عدم الإفصاح في حال إشترطت الجهة المستهدفة ذلك.

25 مليون دولار لقناة «دجلة»

قرار صادر عن اللجنة التنفيذية / الرياض في 2019/11/20

بناء على ما تستوجبه المرحلة الحالية ورؤية المجموعة المستقبلية والمشاريع المشتركة المطلوبة من المجموعة وشركاتها التابعة بخصوص الوصول والتأثير. وبعد الاطلاع على التقارير المرفوعة للجنة بخصوص قناة دجلة، فقد قررت اللجنة الموافقة على تشغيل قناة دجلة لمدة خمس سنوات من خلال تحمل المجموعة تكاليف تشغيلية بحد أقصى 5 مليون دولار أمريكي سنوياً مع الحق بإلغاء الاتفاق بموجب إشعار قبل ستة أشهر من الرغبة بالانهاء، على أن يكون للمجموعة الحق في تحويل المبالغ المدفوعة الى إستثمار في رأسمال وملكية القناة بقيمة محددة مسبقاً وتفويض الإدارة التنفيذية بتوقيع إتفاقيات مع قناة دجلة، مع استثناء إجراء الدراسة النافية للجهالة، وذلك إنطلاقاً من الأهمية الإستراتيجية للقناة وإستكمال إجراء الإفصاحات في حال اقتضى الأمر ذلك أو بحث إمكانية عدم الإفصاح في حال اشترطت الجهة المستهدفة ذلك.

على الغلاف

البنك الدولي يربط دعم اتفاقية الغاز مع مصر بدرس رفع التعرفة؟

لا كهرباء للفقراء

معضلة الكهرباء مستمرة. لكن بين السعي المستمر لتهيئة الارضية القانونية والتقنية لاستجرار الغاز المصري، وبين الدراسات التي تعدّ لخفض عجز مؤسسة كهرباء لبنان، فإن الوعد بتغذية افضل لا يزال مستمراً. لكن ذلك لن يكون بلا ثمن. البنك الدولي يقترح زيادة التعرفة من 135 ليرة إلى 2000 ليرة من ضمن خطة لخفض الاعتماد على المولّدات، التي يُتوقع أن يصل سعر الكيلوواط لديها إلى ستة آلاف ليرة. والوصول إلى توفير 100 مليون دولار شهرياً. يضاف إليها الوفر الذي سيُحققه الغاز المصري

إيلي الفرزلي

الكهرباء مقطوعة. ذلك لم يعد خبراً في ظل الانقطاعات الشاملة التي تحوّلت هي الأخرى إلى روتين يومي. الشبكة تعرضت لسبعة انقطاعات طاولت كل المناطق اللبنانية في الأسبوعين الأخيرين، بسبب عدم التمكن من تأمين الاستقرار لها في ظل إنتاج لا يتعدّى الـ 500 ميغاواط. أما مؤسسة كهرباء لبنان، فأعلنت بوضوح أنها استنفدت جميع الإجراءات الاحترازية ولم يعد بإمكانها تأمين حد أدنى من التغذية، وبالتالي هنالك مخاطر عالية من الوصول إلى الانقطاع الشامل في نهاية أيلول.

نهاية أيلول على بعد أسبوع فقط. والمعامل تتوقف تباعاً بسبب نقص الفيول. فبعد نفاد كامل السلفة التي كانت مخصصة لتأمين حاجة المؤسسة من الفيول، المصدر الوحيد الذي يُغذّي معامل الكهرباء بالطاقة حالياً هو النفط العراقي. وبعد إجراء المناقصة الأولى لاستبدال 84 ألف طن من هذا النفط، بـ 33 ألف طن من الغاز أويل و30 ألف طن من الفيول «غراد ب»، وصلت شحنة الديزل في منتصف أيلول وكان يُفترض أن تتبعها شحنة الفيول خلال أيام، إلا أنها لم تصل إلى اليوم. بالنتيجة، أطفئت المعامل العاملة على هذا النوع من الفيول، أي معملَي الجية والزوق فإن معملَي الزهراني ودير عمار سيتبعانها.

الجديدين والباخرتين التركيتين بالكامل (تنتجان 35 ميغاواط من أصل 370)، وإذا لم تصل الباخرة قبل نهاية الشهر كما يتردد، فيما يُفترض أن تُطلق مناقصة وفيما يفترض أن تُطلق مناقصة شهر تشرين الأول قريباً، بهدف

البواخر التركية تُفصل عن الشبكة اخر ايلول... إلا إذا أُقفلت إلى الشمال لتشغيلها على الغاز (أ ف ب)

البنك الدولي: زيادة إنتاج المعامل وزيادة التعرفة توفّران 1,2 مليار دولار سنوياً

من دون مستند رسمي اميركي، لا تجرؤ اي شركة على الإقدام على اي خطوة في ملف استجرار الغاز

تقرير

الطاقة: لجنة فنية للكشف على خطوط النفط... ولا حلول جدية!

نجلة حمود

بعد إثارة موضوع التسرب النفطي في منطقة العبدة (عكار)، والمناشدات المتكررة لوزارة الطاقة والمياه بالتدخل لمعالجة المشكلة، عقد المدير العام المعاون لمنشآت النفط في طرابلس هادي الحسامي، مؤتمراً صحافياً، أمس، لم يعلن فيه إجراءات سريعة لحماية الأهالي، كما لم يعلن منطقة التسرب منطقة خطرة ينبغي تعيين حارس قضائي عليها لحماية الخطوط ومنع الخطر المحدق بالسكان. جلّ ما قدمه الحسامي التأكيد على وجود اعتداءات على الأنبوب نتيجة حفّه بالمياه ما أدى إلى اهتراء الشبكة، معيداً الكرة إلى ملعب البلديات ووزارة الداخلية بمطالبتها بالمتابعة للكشف عن المعتدين.

حسامي أوضح أن منشآت النفط في طرابلس وفرقها الفنية المختصة «كشفت على كل مواقع التسرب في عكار وتم حفرها وصولاً إلى خط النفط الخام الـ12 إنشاً، وإصلاحه وفق المعايير الفنية (أول خط تم تمديده من العراق إلى لبنان قبل حوالي تسعين سنة، وتم لاحقاً تمديد أنابيب الـ16 إنشاً والـ32 إنشاً)». ولفت إلى أنه «للحفاظ على جودة وفعالية هذه الخطوط، يجب أن تبقى ممتلئة بالمواد النفطية الخام من دون العبث بمحتوياتها أو تفريغها».

الحسامي أعاد تأكيد المؤكد بإشارته إلى أن المنشآت «أحصت 12 اعتداء خلال عام 2021، وفي كل مرة تتم معالجة التسرب وسحب الكميات المتسربة نفاجأ في اليوم التالي بحدوث تسرب آخر في موقع قريب على الخط مع خليط من المياه المضغوطة والنفط الخام، ما يؤكد وجود أعمال تخريبية وتعديات بهدف سرقة المواد النفطية»، لافتاً إلى أن المنشآت قدّمت 15 شكوى لدى أماكن الاعتداءات التي تحصل حكماً داخل حرم المنشآت.

وقالت مصادر متابعة إن «الكلام نفسه يتكرر منذ بدء الكارثة، والخطر يتفاقم يومياً في حين أن إهمال موظفي المنشآت واضح للعيان، والتقارير التي ترفع للإدارة في بيروت غير واضحة». وسألت: «لماذا لا يتم إقفال السكر الأساسي عند الحدود وإصلاح الخط بدل التذرع تارة بعدم وجود بنزين للقيام بالكشف اللازم، وأخرى بعدم وجود إمكانية للقيام بالإصلاحات؟».

وبعد خطابه من دار الفتوى، انتقل النائب نهاد المشنوق الى مواجهة المحقق العدلي القاضي طارق البيطار بالقانون. تقدّم بطلب ردّ القاضي عن الملف. مايعني «توقيف التحقيق فور تبلّغ البيطار بالطلب». ومثله فعل النائبان علي حسن خليل وغازي زعيتر. فهل يُنحّى المحقق العدلي؟

ميسم رزق

افتتح وزير الأشغال السابق يوسف فنيانوس باكورة الدعاوى ضدّ المحقق العدلي في جريمة انفجار مرفأ بيروت القاضي طارق البيطار، وكرّت السبحة. دُشنت معركة تنحية القاضي عن الملف بـ«ارتياب مشروع» أمام الغرفة السادسة من محكمة التمييز برئاسة القاضية رندى كفوري، واستُتبعت بـ«طلب ردّ» تقدّم به، أمس، النائب نهاد المشنوق أمام الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف في بيروت، بينما تقدّم النائبان علي حسن خليل وغازي زعيتر بطلب مماثل. طلبات الرد أحالها الرئيس الأول لمحاكم استئناف بيروت القاضي حبيب رزق الله على الغرفة 12 التي يرأسها القاضي نسيب إيليا، في انتظار خطوة رئيس الحكومة السابق حسان دياب الذي يرجح أن يتقدّم بدعوى عدم صلاحية في ملاقاة جلسة استجوابه (4 تشرين الأول)، والتي تم إبلاغه بها لصقاً.

تعدّدت التوقعات حيال نتائج هذه الخطوة، لكن الخلاصة تُختصر بالآتي: التطورات الجديدة أشبه بلعبة سباق الوقت. فما بين تجميد عمل القاضي لفترة محدّدة وبين تعذّر التبليغ بالدعاوى المقامة ضد المدعى عليهم، وما بيّ أخذ وردّ بشأن صلاحية الجهة المخولة بمحاكمتهم، يكون مجلس النواب قد دخل العقد العادي في أول ثلاثاء بعد 15 تشرين الأول، أي أن النواب المُدعى عليهم يكونون قد استعادوا حصاناتهم بعد ذلك. صحيح أن المحقق العدلي، طوال الفترة السابقة، لم يأبه بهذه الحصانات، مُصدراً قرارات وإجراءات تؤشّر الى قفزه فوقها، ومعتمداً آليات مختلفة عن تلك التي ينصّ عليها الدستور، إلا أن التفسير المحتمل لأهمية استعادة الحصانات هو الانطباع بأن العودة إلى الحصون الدستورية، إلى جانب الديْنية والسياسية، أكثر أمناً.

أمس، حصلَ تطوران أساسيان من شأنهما خلط جميع الأوراق في ملف التحقيقات: الأول، تقدّم الوزراء السابقين المدعى عليهم بطلبات ردّ القاضي البيطار عن ملف التحقيقات. وقد علمت «الأخبار» أن الكتاب الذي تقدّم به الوكيل القانوني للمشنوق المحامي نعوم فرح مؤلف من 28 صفحة يطلب فيه إبلاغ البيطار التوقف عن متابعة التحقيقات لحين البت بالدعوى وإبداء ملاحظاته، وإبلاغ الخصوم بالطلب، وتعيين قاضٍ آخر لمتابعة التحقيقات.

وفي اتصال مع «الأخبار» قال فرح إن طلب الرد استند إلى نقاط عديدة، أهمها أن «القاضي البيطار خالف الدستور الذي ينصّ على أن ملاحقة الوزراء من صلاحية المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء، وهو أمر لا يحتاج إلى تبيان». وعطفاً على ذلك، تطرّق فرح إلى «اعتماد البيطار معيارين متناقضين. فهو أحال القضاة المدعى عليهم أمام المرجعية القضائية المعنية بحسب القانون، على عكس ما فعله مع الوزراء». كما أن «البيطار أعطى تصاريح في العلن وفي جلسات مغلقة تؤكّد أن لديه آراء مسبقة بشأن القضية، علماً بأنه كقاضٍ ملزم بالتحفظ عن هذه الآراء». كل هذه الأسباب، وغيرها، خلقت عند موكّل المحامي فرح كما يقول «شكّاً من أداء القاضي»، مع الإشارة إلى أنه «أدعى عليه قبلَ أن يستمع إلى إفادته».

وعلمت «الأخبار» أن الدعوى التي سيتقدّم بها دياب، تأخرت «لأسباب تقنية تتعلّق بالوكالة القضائية كونه موجوداً خارج البلاد، لكنه باشرَ بها».

ومن المنتظر أن يتبلّغ البيطار الاثنين دعوى المشنوق من محكمة الاستئناف، والتي ستعطيه مهلة لإبداء ملاحظاته عليها، قبل أن تصدر قرارها بقبول طلب الرد أو ردّه. تبقى الإشارة إلى أن طلب الرد يختلف عن الارتياب المشروع، لكون دعوى الارتياب لا توقف عمل المحقّق العدلي، إذ منذ لحظة تقديم البيطار رده الى محكمة التمييز في دعوى الارتياب، يستطيع متابعة تحقيقاته الى حين إصدار محكمة التمييز قرارها. إلا أن طلب الرد من شأنه توقيف التحقيق فوراً، لأن على القاضي البيطار تجميد عمله منذ لحظة تبلّغه.

التطوّر الثاني الذي حصل، هو في إبلاغ وزير الداخلية القاضي بسام مولوي، كلاً من الأمانة العامة لمجلس الوزراء والأمانة العامة لمجلس النواب والنيابة العامة التمييزية قراره بعدم تبليغ دياب والمشنوق وفنيانوس وخليل وزعيتر بالاستدعاءات بواسطة قوى الأمن الداخلي، بناءً على طلب المديرية، باعتبار أن التبليغات يجب أن تتمّ من القضاء مباشرة، وهو هدف سدّده المولوي في شباك البيطار لمصلحة المدعى عليهم.

بالقانون، استندَ الوزير المولوي إلى «المادة 210 من قانون تنظيم قوى الأمن الداخلي التي تسمح له بتقدير إمكانية تكليف قوى الأمن الداخلي بإجراء التبليغات استثنائياً، علماً بأن مهمة التبليغ تعود أصلاً الى المباشرين التابعين لوزارة العدل، ولا سيما أن موضوع التبليغ لصقاً تقني ولا يتطلب تدخلاً من القوى الأمنية».

لكن هل القصة قانونية وحسب؟ المؤكّد أن التدخلات السياسية لدى مولوي فعلت فعلها، فكيف سينعكس قرار وزير الداخلية على سير الأمور؟

بما أن المولوي قرر «تحييد» القوى الأمنية عن إجراء التبليغ، وبما أن النيابة العامة التمييزية سبقَ أن سمعت جواباً من مجلسَي الوزراء والنواب بأن «ليس من صلاحية المحقق العدلي الادعاء على الوزراء وملاحقتهم»، يبقى الخيار الوحيد المتاح لحلّ معضلة التبليغات هو اللجوء الى المباشر القضائي، إذ وجد من «يفعلها»! فكيف سيتعامل المحقّق العدلي في حال تعذر التبليغ وعدم حضور المدّعى عليهم الجلسات التي حددها لهم، في حال كانَ لا يزال يتولّى الملف؟

تدخّلات سياسية دفعت وزير الداخلية إلى اتخاذ قرار بتحييد القوى الامنية (هيثم الموسوي)

تقرير

المشنوق وخليل وزعيتر بعد فنيانوس

الجولة الأخيرة قبل تنحية البيطار ؟

فرح لـ«الأخبار»: «البيطار ادّعى على موكّلي قبل ان يستمع إلى إفادته»

قضية

لا ثقة بمصرف لبنان
هيئة مستقلّة لـ«إعادة هيكلة المصارف»

في 16 تموز 2020 أصدر حاكم مصرف لبنان مذكرة إدارية رقمها 2272 ترمي إلى إنشاء لجنة خاصة لـ«إعادة هيكلة المصارف». كانت هذه اللجنة بمثابة إقرار بوجود خسائر محققة في المصارف تستدعي إعادة هيكلتها جميعاً. وهي جاءت مباشرة بعد إطاحة لجنة المال النيابية بخطّة التعافي، لتكون هذه اللجنة بمثابة غطاء للتهرّب من تحديد الخسائر والقيام بالإجراءات القانونية من تصفية ودمج وسواها مما يطاول تعديلاً في بنية وهيكلية القطاع المصرفي. هذه الخطوة وما تلاها، أتاحت لمصرف لبنان التهرّب من الاعتراف بخسائره التي تستوجب أيضاً إعادة هيكلته، لذا يجب أن تكون إعادة الهيكلة في القطاع عبر «هيئة مستقلّة»

قدّر صندوق النقد خسائر القطاع المصرفي بما يقارب الـ113 مليار دولار (هيثم الموسوي)

ليا القزي

«65 مليار دولار هي الخسائر المتوقّعة للمصارف اللبنانية بعد إعادة هيكلة القطاع المالي (...) ما يجعلها مُفلسة»، بحسب تقديرات وردت في تقرير أصدره الخميس الماضي رئيس قسم الأبحاث الاقتصادية في «غولدمان ساكس» فارق سوسا. وفي إحدى مراسلاته لوزارة المالية (في عهد الوزير السابق غازي وزني)، يُقدّر صندوق النقد الدولي الخسائر الإجمالية في مصرف لبنان والمصارف بنحو 113 مليار دولار، أي أعلى من تقديرات «خطّة التعافي» البالغة 80 مليار دولار في نيسان 2020. يفترض بهذه الخسائر الضخمة أن تكون مدخلاً نحو هيكلة القطاع المصرفي كأولوية لا يعلو سواها أي عمل آخر. لكن تحالف البنك المركزي - المصارف - القوى السياسية المنضوية في «حزب المصرف»، تمكنت من قلب جدول الأعمال لتصبح طباعة النقد مدخلاً لتقليص خسائر المصارف عبر هيركات مقنّع على أموال المودعين، على أن تتم لاحقاً عمليات شكلية تندرج تحت إعادة الهيكلة من نوع التصفية والدمج وسواها. عملياً، كان يتم تنظيف الميزانيات على حساب المودعين والمجتمع والاقتصاد، ومن دون إجبار المصارف على رسملة نفسها بأموال طازجة بالعملات الأجنبية. وفي السياق نفسه ولدت تسوية في البيان الوزاري لتضمينه عبارة «إصلاح القطاع المصرفي وإعادة الهيكلة حيث يجب». بدا كأن الحكومة تعبّر مسبقاً عن ممارسة انتقائية في التعامل مع القطاع المصرفي لتجنب أي التزام يمسّ بالبنية الحالية للمصارف، ومن دون أن تنظر إلى مفاعيل تغافل مصرف لبنان، عمداً، عن السابقة حماية أكثر من 95 في المئة من المودعين وفرض هيركات على الودائع ما فوق الـ500 ألف دولار وأن يدفع المساهمون حصّتهم من الخسارة، فاسقطوها. حاولنا هذه المرّة أن نُرخي الحبلة قليلاً، ونقول لهم إنّ مساهمتهم في تحمّل الخسارة لن تكون شاملة، وحتّى هذا الأمر لم يتجاوبوا معه». علماً بأنّ إعادة الثقة في البلد «تبدأ من إعادة الثقة في القطاع المصرفي. كيف ستُموَّل هذه العملية؟ هذا قرار سياسي».

القرار السياسي الوحيد للسلطة السياسية هو في إنقاذ أصحاب المصارف. يُشير أفيوني إلى أنّه «عملياً الجميع اتّخذ المودع رهينة، وبخاصة صغار المودعين المحتاجين إلى ودائعهم ليعيشوا وغير قادرين على انتظار الحلّ، فأجبروه على سحب أمواله وفق سعر صرف 3900 ليرة، ما أدّى إلى خفض خسائر القطاع المصرفي. نتيجة هذا النكران للخسائر، أصبح لدينا نظام مصرفي أول الخاسرين فيه هم المودعون عوض أن يكون المساهمون. بأي نظام رأسمالي هذه هرطقة». وبما أنّ هذا الوضع بات مُستنزفاً للمجتمع والإنتاج، ولم يعد ممكناً انتظار الحلّ الكبير والاتفاق على الخسائر، «يجب فصل النشاط التجاري عن المحفظة السيادية للمصرف، فتوضع الأخيرة في صندوق يملكه المودعون الكبار والمساهمون». يشرح أفيوني أنّه بهذه الطريقة «نكون قد حجّمنا المصارف، وحصرنا نشاطها بالإنتاج، أما الصندوق السيادي فيخوض مفاوضات جانبية مع الدولة حول طريقة توزيع واحتساب الخسائر».

من جهته، يتحدّث شاوول عن حجم القطاع المصرفي الكبير جداً نسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي، «اقتصادياً هذا لا يجوز، ولا مفرّ من دمج المصارف». يُذكّر بأنّه ما بين آذار 2020 وآذار 2021، أقفل مليون و200 حساب من أصل مليونين و700 حساب، «هؤلاء هم تقريباً المودعون الصغار والمتوسطين. ماذا يُريدون حالياً؟ استخدام أملاك الدولة لدفع أموال كبار المودعين والمساهمين؟». هنا يتفق شاوول مع المسؤول المصرفي على أن سرّ نجاح خطّة التعافي التي يحتاجها القطاع «بوجود هيئة مستقلة، غير مرتبطة بمصرف لبنان أو بأي لجنة أو هيئة رقابية حالية. يجب أن تمتلك هذه الهيئة صلاحيات الولوج إلى حسابات المصارف وتصنيفها بين متعثّر وقابل للاستمرار». وذلك يتم في إطار دراسة ميزانيات المصارف لتحديد نسب السيولة المطلوبة والرسملة لكلّ منها. «ومن المهم أن تكون خطة التعافي متطابقة مع المعايير الدولية لتقليل المخاطر». المهم، يقول شاوول، «تكسير الروابط بين المصارف والقطاع العام. لا يُمكن تعيين مسؤولين سياسيين هم أعضاء في المصارف أو تربطهم علاقات، ثمّ نفترض أنهم سيتمكنون من مفاوضات صندوق النقد وإعادة هيكلة المصارف».

فكفكة «المركزي» وإعادة تركيبه

إعادة هيكلة القطاع المصرفي لا تتعلّق فقط بالمصارف، بل جزءٌ أساسي منها يقوم على إعادة هيكلة مصرف لبنان. خسائره تؤثّر في قراراته المتعلقة بتحديد السياسات النقدية، ولا سيما في إحدى أهم أدواته للدفاع عن النقد والحفاظ على الاستقرار الاقتصادي: الاحتياطي بالعملات الأجنبية. في البنك المركزي يجب أن تنطلق «ورشة» تطاول مواد عدّة في قانون النقد والتسليف، خصوصاً ما يؤدّي إلى تعزيز دور الجهات الرقابية بعيداً من سلطة المصرف المركزي عليها، وتعزيز صلاحيات مفوّض الحكومة لدى مصرف لبنان حتى يتمكن من طرح التناغم بين السياسات المالية والسياسات النقدية في المجلس المركزي لمصرف لبنان حيث تتخذ القرارات. ومن الأمور الأساسية أيضاً، فصل مصرف لبنان عن هيئة الأسواق المالية، وفصل هيئة التحقيق الخاصة عن مصرف لبنان، وتحويل لجنة الرقابة على المصارف إلى سلطة قائمة بذاتها، بهدف عدم حصر الصلاحيات في شخص واحد يمكنه تعطيل عمل الهيئات ومنع الرقابة والمحاسبة. أما في الأدوار الوظيفية لمصرف لبنان فيجب أن تحدّد بشكل أوضح بالإضافة إلى آليات التنفيذ بعد تحديد صلاحياته المفتوحة بشكل شبه مطلق، وتحديد أولوياته ضمن هذه الصلاحية، خصوصاً أنه استعمل الحفاظ على القطاع المصرفي كأولوية تسبق الحفاظ على سلامة النقد الوطني، وسلامة الاقتصاد.

إعادة هيكلة المصارف التي «تترك لبنان مع مصارف غير مؤهلة لدعم التعافي الاقتصادي» كما ورد في تقرير سابق صادر عن وكالة «ستاندرد أند بورز»، النقطة المحورية لإعادة هيكلة القطاع المصرفي تتمحور حول تحديد الخسائر في ميزانيات البنك المركزي والمصارف. الخسائر حدّدها مصرف لبنان في التعميم 543 على النحو الآتي:

- تحتسب الخسائر المتوقعة على توظيفات المصارف لدى مصرف لبنان بنسبة 1,89 في المئة.
- تحتسب الخسائر المتوقعة على توظيفات المصارف في سندات الخزينة بالعملات الأجنبية (يوروبوندز) بنسبة 45 في المئة.

تتعارض هذه الطريقة في الاحتساب مع معايير المحاسبة العالمية. لذا، لم تعترف شركات التدقيق بصحة ميزانيات المصارف. «فكيف تنجح إعادة هيكلة قبل تحديد الخسائر؟»، يسأل مسؤول سابق في مصرف لبنان. عددٌ من المصارف طلب احتساب «10 في المئة أو 11 في المئة مؤونات على توظيفات المصارف لدى مصرف لبنان، لكن حين يُحدّد سلامة هذه النسبة المُتدنية، فكأنّه يعتبرها أصولاً مُنتجة ولم تتعرّض لمخاطر عالية، وهذا أمر غير صحيح». لا بل هو يواصل تسديد الفوائد عليها!

حجم الخسائر هو المعيار «الذي على أساسه يُحدّد إذا كان المصرف قادراً على الاستمرارية أو مُفلساً»، يقول المصرفي والوزير السابق عادل أفيوني. يوافق على أنّ «الخلاف الكبير مصدره الدين السيادي، والموجودات في البنك المركزي. إذا لم نصل إلى أجوبة في هذا الخصوص يعني أنّ جزءاً كبيراً من الميزانيات مشكوكٌ بتقييمها، ولا يوجد أي مُدقّق عالمي يوافق عليها».

وفق هذه القاعدة، بحسب المسؤول السابق في مصرف لبنان، «توضع خطّة التعافي (Resolution plan)، وتتولّى هيئة مستقلّة تحديد المصرف المُتعثّر أو المُعرّض للتعثّر، ليتمّ بناءً على ذلك حسم أي من المصارف التجارية قادرة على الاستمرار، وأي منها يجب تصفيته أو دمجه مع مصرف آخر». يعتقد أنّه لا مفرّ من آلية العمل هذه «لأنّ القرارات والتعاميم العادية لم تعد نافعة في إعادة إنعاش المصارف، لا بل على العكس ستُسهم في تعميق عدم الاستقرار المالي وزيادة تأثيره في المصلحة العامة».

يقول المستشار السابق لوزير المال، هنري شاوول (أحد أعضاء الوفد التفاوضي مع صندوق النقد الدولي في حكومة حسّان دياب)، إنّ «المشكلة ليست في وجود الخسائر، لأنّها واضحة وأحد الأدلّة على ذلك عملية تحويل 70 في المئة من الودائع من الدولار إلى الليرة لإخراجها من المصارف (وتقليل الخسائر في ميزانيات القطاع المصرفي)، بل في الاعتراف بها، وتحديد من يجب أن يُغطّيها». الآلية الصحيحة لتغطية الخسائر هي في أن «يأتي المساهمون بالمال ويضخّونه في المصارف». شاوول كان أحد الذين عملوا في حزيران على خطة لإعادة الهيكلة تفتح «نافذة حوار» مع أصحاب المصارف عبر عملية إنقاذ داخلية جزئية وليست شاملة، أي عدم خسارة المساهمين لكامل رأسمالهم، «طرحنا في خطّة الإنقاذ

> **الحل في خطّة تعاف تتولّى تطبيقها هيئة مستقلة**

كورونا

قنبلة المدارس
40 في المئة من المعلمين لم يتلقوا لقاحات

راجانا حميّة

هل بات الوصول إلى مناعةٍ مجتمعية وارداً؟ اليوم، يقترب الجواب من الـ«نعم»، إذا ما أخذنا في الاعتبار ثلاثة مؤشرات أساسية قادرة على قياس مسار فيروس «كورونا» في البلاد. في مقدمها، تأتي حملات التلقيح التي تقوم بها وزارة الصحة العامة، والتي تسير اليوم بوتيرة أسرع، سواء في الوقت أو في الفئات العمرية المستهدفة. وتأتي ثانياً «التعزيزات» باللقاحات الواصلة من الخارج، والمؤشر الثالث يتعلق بوضع فيروس كورونا في البلاد، سواء بالنسبة لأعداد الإصابات والوفيات، كما أعداد حالات الاستشفاء. في ما يخص المؤشر الأول، ثمة اطمئنان اليوم إلى عملية التلقيح التي تسير «بالشكل المتوقع»، يقول رئيس اللجنة الوطنية للقاح كورونا الدكتور عبد الرحمن البزري، معتبراً أن «الناعمة المجتمعية تزيد يوماً بعد آخر». وإذ يشير إلى أن أعداد الملقحين بجرعةٍ واحدة قد فاق الـ30في المئة، إلا أنه من الناحية الأخرى يسند هذا الرقم «نسبة لا بأس بها من الذين أصيبوا بكورونا واكتسبوا مناعة طبيعية»، متوقعاً أن تسير الأمور في الأيام والأسابيع المقبلة بشكل أفضل، مع وصول كمية من اللقاحات الحديثة من أميركا وبريطانيا وغيرهما، ولا سيما لقاحات فايزر واسترازينيكا وجونسون أند جونسون، وعندها «من المتوقع أن تزيد نسب الممنّعين أكثر».

أما بالنسبة إلى الشرائح العمرية التي تطالها عملية التلقيح، فالعامل الإيجابي اليوم أن فئاتٍ عمرية جديدة دخلت عملية التمنيع، خصوصاً مع إقرار دخول الفئة العمرية من 12 سنة إلى 18 سنة، وهي أكثر الفئات حركة. وفي هذا السياق، يشير القيمون على عمل منصة اللقاح الإلكترونية إلى أنه خلال الشهرين الماضي والجاري، بلغ عدد المسجلين على المنصة ضمن هذه الفئة 92 ألفاً، بمعدل 2000 طلب تسجيل يومياً. ومن هذه النسب، جرى تلقيح ما يقرب من 40 ألفاً منهم. مع ذلك، كان المتوقع أن تكون النسبة أعلى ضمن هذه الفئة العمرية، إلا أنه بحسب البزري، ثمة «قلق لدى بعض الأهالي على أطفالهم من مفاعيل اللقاحات وآثارها الجانبية، ولذلك غالباً ما نواجه أسئلة من نوع هل يمكن أن يؤذي اللقاح الأطفال. وهذا أمر طبيعي».

في ثالث المؤشرات، يمكن الحديث عن عدّاد كورونا الذي بدأ منذ نحو أسبوعين مساراً تنازلياً، فانخفضت أعداد المصابين والمتوفين، وأعداد الحالات التي تحتاج إلى الاستشفاء، والتي تعدّ المؤشر الأبرز ضمن العداد. وفي هذا الإطار، انخفضت نسبة الذين يحتاجون إلى الاستشفاء إلى حدود 283 حالة. واللافت هنا أن 84 في المئة من هذه الحالات هي لأشخاصٍ لم يحصلوا على اللقاحات بعد. وهذا «يعني أن اللقاح يحمي»، يقول البزري.

مع ذلك، ليست هذه المؤشرات كافية للوصول إلى بر الأمان، فانتكاسة واحدة قد تعيد الفيروس إلى نقطة اللاعودة، ولعلّ من أبرز التحديات مسألة العودة إلى المدارس. وقد شهدت هذه العودة تسجيل بعض الإصابات في المستشفيات، ما يدفع إلى التساؤل عن الإجراءات التي تتخذها المدارس عند حدوث العدوى، وهو ما ليس واضحاً إلى الآن. كما أن ثمة خوفاً من انتقال العدوى بسرعة بين الأساتذة. ويقترن هذا الخوف بكون نحو 40 في المئة من الأساتذة لم يتلقوا اللقاح أو لم يرغبوا بتلقيه. فهل تشهد «كورونا» عودتها إلى الذروة من صفوف المدارس؟

العناصة المجتمعية تزيد و40 الفا من الفئة 12 - 18 سنة تلقوا اللقاح (مروان بو حيدر)

من قتل الفكرة القوميّة العربيّة؟

أسعد أبو خليل *

لم تمت القوميّة العربيّة كي نبحث في أسباب وخلفيات قتلها. شُبِّهَ للصهاينة وأنصارهم بيننا أنها تعرّضت للقتل أو أنها ماتت ميتة طبيعيّة. أرادَ الصهاينة قتلها، لا بل الإمعان في قتلها والتمثيل بجثتها. الصهيونيّة عُمّدت مبكراً جداً إلى شرذمة العالم العربي إلى شيع وقبائل وطوائف وفرق منذ أوائل القرن العشرين. هذا ليس تحليلاً بل هناك وثائق صهيونية تتحدّث عن ذلك. الشعب الفلسطيني تنبّهَ إلى ما يعدّه المستوطنون في أوائل القرن العشرين فردّوا بإنشاء «الجمعيّات الإسلامية ـ المسيحيّة» لتفويت الفرصة على الصهاينة لتفرقة صفوفهم وبثّ الفتنة بينهم. الشعب الفلسطيني بقي على تراصّه ووحدته حتى صعود الحركات الإسلاميّة بين الفلسطينيّين في الثمانينيّات. الصهيونيّة الإسلاميّة كانت خير معين لدولة العدوّ: وقبل أيّام صرّح النائب في كنيست العدوّ وليد طه، عضو الحركة الإسلاميّة، أنّ حركته لن تتسحب من الحكومة ولو شنّت الحكومة حرباً مدمّرة ضد أهل غزة. الحركة القوميّة العربيّة لم تخبُ أو تضمر من تلقاء نفسها. لا. هي كانت عرضة لحملة عربيّة رجعيّة ـ إسرائيليّة ـ غربيّة عالميّة على مدى عقدَيْ زمن جمال عبد الناصر، وحتى قبله. الذي يراقب اليوم وحشيّة وحدّة الحرب الغربيّة ـ الخليجيّة ـ الإسرائيليّة ضد حركات المقاومة يدرك كم أن هذا التحالف أنفقَ في حروب ضد القوميّة العربيّة. لم يقلّ عداؤه لها عن عدائه للشيوعيّة، خصوصاً أنه اعتبر ـ على طريقة اليمين اللبناني المتمثّل في «الحلف الثلاثي» في الستينيّات ـ أن القوميّة العربيّة والشيوعيّة صنوان.

كتب اللبناني الصهيوني فؤاد عجمي، مقالة في مجلّة «فورين أفيرز» (عدد 1978 ـ 1979) بعنوان «نهاية القوميّة العربيّة». والمقالة أثلجت قلوب الصهاينة وانتشرت كمقولة رائجة ومفيدة في دوائر الغرب. لكنّ عجمي بقي على مدى سنوات يعيد اجترار المقالة ويكرّر مضمونها، ما يطرح تساؤلات عن حقيقة موت القومية العربيّة إذا كان هناك حاجة دوريّة لإعلان وفاتها وقراءة مرثية عنها. الصهاينة عزّزوا الفكرة لأنهم استثمروا في محاربة القومية العربيّة: هم دعموا تحالف الأنظمة الرجعيّة التي حاربت مشروع جمال عبد الناصر الوحدوي، وهم تدخّلوا إلى جانب كل الحركات الانفصاليّة في العالم العربي: الأكراد وجنوب السودان (قبل انفصاله) والانعزاليّون في لبنان. سياسة دعم «الأطراف» كانت في خلق أطراف مبعثرة في الجسم العربي. آنا وغيري لم نعش تجربة «الجمهورية العربيّة المتحدة» لكنّ هناك وثائق وكتباً عن تلك المرحلة. لم تكلّ مؤامرات الصهيونيّة ضد تلك التجربة الفذّة. لقد انهزم عبد الناصر في يوم الانفصال في عام 1961، قبل هزيمة 1967 القاصمة. تكالبت شتّى أنواع المؤامرات من أجل تقويض كل تجارب الوحدة العربيّة خصوصاً تلك التجربة الواعدة بين مصر وسوريا. نستطيع أن نُحصي عدداً هائلاً من الأخطاء في تجربة الوحدة. يكفي أن تذكر عبد الحكيم عامر وأنور السادات وارتباطهما بتجربة الوحدة كي تدرك أخطاء التطبيق. نستطيع أن نتحدّث عن أخطاء جسام شابت تجربة الحكم في الإقليم الشمالي، لكنّ التقليل من حجم المخطّطات التي حيكت ضد حركات الوحدة كان جزءاً من المؤامرة عينها. المؤامرة تريد التقليل من المؤامرة وتريد الاستخفاف بالحديث عن المؤامرة، وهذا ما يجري حالياً في لبنان. (حتى عندما تكشف دور أميركا الخفيّ في الحصار والعقوبات وتأثيرها على لبنان بعد إعلان موعد وصول السفينة الإيرانية، هناك من يريد أن يسخر من أي دور للمؤامرة لأن الحصار في لبنان لا يرتقي إلى مرتبة الحصار ضد كوبا أو إيران. لكنّ حتى تلك الدول، تفضّل أدوات المؤامرة نسب المشاكل الاقتصاديّة فيها إلى الاشتراكيّة أو سوء الإدارة أو تصدير الثورة. السعودية اليوم هي خامس إنفاق عسكري في كل العالم ـ بعد بريطانيا مباشرة ـ لكنّ ذلك لا يؤثّر على تقييم الوضع الاقتصادي والسياسي في هذه الدولة، لأن الإنفاق السعودي يملأ الخزائن الغربيّة بعائدات النفط التي يُعاد تدويرها. كانت في الماضي تأتي مباشرة لحصالات دول الغرب وهي اليوم تأتي بطريقة غير مباشرة عبر الاستثمارات. محمد بن زايد لم يكن يستطيع أن يزور بريطانيا قبل أسبوع لو لم تصاحبه إعلانات استثمارات بالمليارات).

لا تصدّقوا كلامي. خذوا وخذنْ شهادة خبير الشرق الأوسط في «وكالة الاستخبارات المركزيّة»، أرتشي روزفلت الذي ترك وراءه مذكّرات لم تحظ باهتمام من قبل المؤرّخين عندنا وعندهم. يعترف روزفلت بداية أن استعداء القومية العربيّة كان خطأ وكان هناك نظرة ساوت بين الخطر الشيوعي وبين خطر القومية العربيّة. لكنّ الشهادة تعطي لمحة عن حجم التآمر. يقول روزفلت في كتابه «شبق المعرفة»: «اتذكّر بوضوح كيف أن نائب مدير الـ «سي. آي. إي»، بير كابل، دعاني لحضور اجتماع لحكماء وزارة الخارجيّة برئاسة وزير الخارجيّة جون فوستر دالس، في عام 1957. وكان هناك قرار قد اتُخذ لمجابهة قوى القوميّة العربيّة، خصوصاً النسق الجذري منها والمتمثّل في «الجمهوريّة العربيّة المتحدة» بين سوريا ومصر، عبر الاستعانة بوسائط «حلف بغداد». (كانت صحف الرجعيّة في العالم العربي تسخر من عبد الناصر عندما كان يسخر من خطط «حلف بغداد»). وورد مبكراً في عام 1956 في وثيقة من وثائق أرشيف فريد شهاب أن كميل شمعون كان «متحمّساً» لدخول «حلف بغداد». وفي اجتماع وزارة الخارجيّة المذكور تمّ الاتفاق على إرسال لوي أندرسون إلى الشرق الأوسط لحثّ «العواصم الصديقة» من أجل خلق معارض للجمهورية العربيّة المتحدة. (يعترف روزفلت أنه لم يجرؤ على تسجيل معارضته التي أبقاها في سرّه). لكنّ خطط جون فوستر دالس ماتت بحلول ثورة تموز في العراق في عام 1958. يضيف روزفلت: «لم نتعلّم. نحن نكرّر نفس الأخطاء اليوم إذ إننا نخلط بين التيارات المختلفة للماركسية والقوميّة، وليس فقط في الشرق الأوسط». (ص. 434).

والربط بين قوى الرجعيّة المحليّة (في كل البلدان المعنيّة) وبين التآمر الغربي ليس خيالياً بل هو موثّق من خلال ما أفرج عنه في الأرشيف. إن الوثائق التي أفرج عندنا وعندهم. يعترف روزفلت بداية أن استعداء القومية العربيّة كان خطأ وكان هناك نظرة ساوت بين الخطر الشيوعي وبين خطر القومية العربيّة. لكنّ الشهادة تعطي لمحة عن حجم التآمر. يقول روزفلت في كتابه «شبق المعرفة»: «اتذكّر بوضوح كيف أن نائب مدير الـ «سي. آي. إي»، بير كابل، دعاني لحضور اجتماع لحكماء وزارة الخارجيّة برئاسة وزير الخارجيّة جون فوستر دالس، في عام 1957. وكان هناك قرار قد اتُخذ لمجابهة قوى القوميّة العربيّة، خصوصاً النسق الجذري منها والمتمثّل في «الجمهوريّة العربيّة المتحدة» بين سوريا ومصر، عبر الاستعانة بوسائط «حلف بغداد». (كانت صحف الرجعيّة في العالم العربي تسخر من عبد الناصر عندما كان يسخر من خطط «حلف بغداد»). وورد مبكراً في عام 1956 في وثيقة من وثائق أرشيف فريد شهاب أن كميل شمعون كان «متحمّساً» لدخول «حلف بغداد». وفي اجتماع وزارة الخارجيّة المذكور تمّ الاتفاق على إرسال لوي أندرسون إلى الشرق الأوسط لحثّ «العواصم الصديقة» من أجل خلق معارض للجمهورية العربيّة المتحدة. (يعترف روزفلت أنه لم يجرؤ على تسجيل معارضته التي أبقاها في سرّه). لكنّ خطط جون فوستر دالس ماتت بحلول ثورة تموز في العراق في عام 1958. يضيف روزفلت: «لم نتعلّم. نحن نكرّر نفس الأخطاء اليوم إذ إننا نخلط بين التيارات المختلفة للماركسية والقوميّة، وليس فقط في الشرق الأوسط». (ص. 434).

والربط بين قوى الرجعيّة المحليّة (في كل البلدان المعنيّة) وبين التآمر الغربي ليس خيالياً بل هو موثّق من خلال ما أفرج عنه في الأرشيف. إن الوثائق التي أفرج عندنا وعندهم. يعترف روزفلت بداية أن استعداء القومية العربيّة كان خطأ وكان هناك نظرة ساوت بين الخطر الشيوعي وبين خطر القومية العربيّة. لكنّ الشهادة تعطي لمحة عن حجم التآمر. يقول روزفلت في كتابه «شبق المعرفة»: «اتذكّر بوضوح كيف أن نائب مدير الـ «سي. آي. إي»، بير كابل، دعاني لحضور اجتماع لحكماء وزارة الخارجيّة برئاسة وزير الخارجيّة جون فوستر دالس، في عام 1957. وكان هناك قرار قد اتُخذ لمجابهة قوى القوميّة العربيّة، خصوصاً النسق الجذري منها والمتمثّل في «الجمهوريّة العربيّة المتحدة» بين سوريا ومصر، عبر الاستعانة بوسائط «حلف بغداد». (كانت صحف الرجعيّة في العالم العربي تسخر من عبد الناصر عندما كان يسخر من خطط «حلف بغداد»). وورد مبكراً في عام 1956 في وثيقة من وثائق أرشيف فريد شهاب أن كميل شمعون كان «متحمّساً» لدخول «حلف بغداد». وفي اجتماع وزارة الخارجيّة المذكور تمّ الاتفاق على إرسال لوي أندرسون إلى الشرق الأوسط لحثّ «العواصم الصديقة» من أجل خلق معارض للجمهورية العربيّة المتحدة. (يعترف روزفلت أنه لم يجرؤ على تسجيل معارضته التي أبقاها في سرّه). لكنّ خطط جون فوستر دالس ماتت بحلول ثورة تموز في العراق في عام 1958. يضيف روزفلت: «لم نتعلّم. نحن نكرّر نفس الأخطاء اليوم إذ إننا نخلط بين التيارات المختلفة للماركسية والقوميّة، وليس فقط في الشرق الأوسط». (ص. 434).

طابع بريدي قطري يعود إلى العام 1965 (philasearch.com)

لا تصدّقوا كلامي. خذوا وخذنْ شهادة خبير الشرق الأوسط في «وكالة الاستخبارات المركزيّة»، أرتشي روزفلت الذي ترك وراءه مذكّرات لم تحظ باهتمام من قبل المؤرّخين عندنا وعندهم. يعترف روزفلت بداية أن استعداء القومية العربيّة كان خطأ وكان هناك نظرة ساوت بين الخطر الشيوعي وبين خطر القومية العربيّة. لكنّ الشهادة تعطي لمحة عن حجم التآمر. يقول روزفلت في كتابه «شبق المعرفة»: «اتذكّر بوضوح كيف أن نائب مدير الـ «سي. آي. إي»، بير كابل، دعاني لحضور اجتماع لحكماء وزارة الخارجيّة برئاسة وزير الخارجيّة جون فوستر دالس، في عام 1957. وكان هناك قرار قد اتُخذ لمجابهة قوى القوميّة العربيّة، خصوصاً النسق الجذري منها والمتمثّل في «الجمهوريّة العربيّة المتحدة» بين سوريا ومصر، عبر الاستعانة بوسائط «حلف بغداد». (كانت صحف الرجعيّة في العالم العربي تسخر من عبد الناصر عندما كان يسخر من خطط «حلف بغداد»). وورد مبكراً في عام 1956 في وثيقة من وثائق أرشيف فريد شهاب أن كميل شمعون كان «متحمّساً» لدخول «حلف بغداد». وفي اجتماع وزارة الخارجيّة المذكور تمّ الاتفاق على إرسال لوي أندرسون إلى الشرق الأوسط لحثّ «العواصم الصديقة» من أجل خلق معارض للجمهورية العربيّة المتحدة. (يعترف روزفلت أنه لم يجرؤ على تسجيل معارضته التي أبقاها في سرّه). لكنّ خطط جون فوستر دالس ماتت بحلول ثورة تموز في العراق في عام 1958. يضيف روزفلت: «لم نتعلّم. نحن نكرّر نفس الأخطاء اليوم إذ إننا نخلط بين التيارات المختلفة للماركسية والقوميّة، وليس فقط في الشرق الأوسط». (ص. 434).

والربط بين قوى الرجعيّة المحليّة (في كل البلدان المعنيّة) وبين التآمر الغربي ليس خيالياً بل هو موثّق من خلال ما أفرج عنه في الأرشيف. إن الوثائق التي أفرج عنها في عواصم الغرب تظهر أن الأدوات المحليّة كانت أقلّ قراراً بكثير مما كان يُقال في أدبيات اليسار. في لبنان لدينا وثائق «ويكليكس» لمعرفة مدى خضوع الطبقة السياسيّة العريضة لأميركا. نفس الطبقة التي تشكو اليوم من الاحتلال الإيراني. والاحتلال الإيراني هو صيغة أو شعار ضروري من قبل الأدوات التي تحزكها أميركا وإسرائيل في بلادنا، وهي باتت نافذة ليس فقط في الحكم بل في المعارضة وفي ما يُسمّى المجتمع المدني (وضعت الذراع الفكرية للوبي الإسرائيلي في واشنطن هذا الأسبوع تقريراً يحثّ على دعم وتمويل «المجتمع المدني» كبديل لحزب الله في مناطق الشيعة). ويكفي أن نذكر كم أن العدد القليل من الإعدامات في كلّ عهد عبد الناصر (قل من عدد الإعدامات في شهر واحد في السعودية في ذلك الزمن) لا يزال يحظى بتعليقات دعاة الليبراليّة السعوديّة ـ الإماراتيّة في بلادنا. لم تسقط الجمهوريّة العربيّة المتّحدة من تلقاء نفسها ـ بصرف النظر عن الأخطاء التي رافقتها، كأن أنظمة الرجعية العربيّة كانت جمهوريات فاضلة ـ بل من جراء التآمر الخارجي المرتبط بقوى الرجعيّة المحليّة.

لم تمت القومية العربية أو الهُويّة العربيّة. هناك عناصر جامعة بين العرب لا تزال أقوى بكثير من عناصر الجمع والوحدة في أوروبا وفي أفريقيا. اللغة والهمّ والقضايا الكبرى والثقافة والفن والتاريخ والهويّة والمزاج العام لا تزال مشتركة بين كل تلك البلدان. وهذه العناصر لم تضمحلّ أو تموت. واستطلعات الرأي في العالم العربي (خصوصاً تلك التي يُجريها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، لأنها الأشمل مع أنها لا تعتمد معايير منهجيّة واحدة في الاستطلاع إذ تلزم الاستطلاع إلى شركات استطلاع محليّة وبعضها ـ في لبنان ـ لا يمكن الركون إليها) تؤكد أن هناك قضايا عربيّة جامعة وإن الأهواء (نحو ديموطة الفكرة العربيّة معجزة بحد ذاتها، او دليل على قوّة الفكرة، لأن التحالف الغربي ـ الخليجي ـ الإسرائيلي لم يتوقّف عن محاربة الفكرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. والجامعة العربيّة كانت محاولة من بريطانيا لتبديد العمل العربي الجامع. كانت بريطانيا تريد جمع قوى الاستعمار البريطاني المحليّة لتقويض الحركة الشعبيّة العربيّة التي كانت تهديداً للاستعمار الغربي (يكفي أن تتصفّح أعداد مجلّة «المصوّر» المصريّة قبل أسابيع فقط من نكبة فلسطين وكيف كان رياض الصلح يطمئن الشعب العربي واثقاً بأن هناك خطة (سريّة طبعاً) لدحر الغزو الصهيوني عن فلسطين. هؤلاء كانوا مؤامرة ضد الفكرة القومية باسم الفكرة القوميّة.

ولم يكن فكر الرابطة الإسلاميّة الذي أطلقه الملك فيصل في الستينيّات إلا جزءاً من التآمر الغربي ضد الفكرة القوميّة العربيّة. وكان الملك فيصل جزءاً لا يتجزّأ من مؤامرة أميركا ضد الخطر الشيوعي. وأميركا التي ساوت بين الخطر الشيوعي والقومي العربي رأت في الرابطة الإسلاميّة سلاحاً ماضياً ضد خطرَيْن: الخطر الشيوعي والقومي. وليست حركة «طالبان» و«القاعدة» قبلها إلا من إفرازات ما أطلقه نظام الرجعيّة العربيّة في الرياض آنذاك. والرابطة الإسلاميّة سبقت بكثير انطلاق الثورة في إيران، والتي عزّزت من فكر الرابط الإسلامي بين العرب، قبل أن تعمد حركة الرجعيّة العربيّة في الخليج بعد غزو العراق في عام 2003 إلى بثّ مؤامرة الفرقة الطائفيّة بين السُّنة والشيعة من أجل تقويض دعائم التأييد الشعبي العربي لحركات مقاومة إسرائيل، خصوصاً الحركة الفذّة في جنوب لبنان. والرابطة الإسلاميّة دعّمت قوى الانفصال في العالم العربي، خصوصاً من قبل حركات رجعية غير إسلامية مثل الانعزاليّين في لبنان. والمفارقة أن قوى الفرقة في الرياض ساهمت في تمويل وتسليح قوى الانعزال اللبناني، لأن الحركتيْن تلاقتا في رفض القوميّة العربيّة وفي رفض اليسار.

لا يمكن لوم قوى الرجعيّة المرتبطة بالمؤامرات الغربيّة وحدها لضمور الفكرة العربيّة. لقد أساء دعاة الوحدة العربيّة إليها كما أساء إليها أعداؤها. لكنّ حزب البعث، بجناحيْه السوري والعراقي، سدّد ضربات قاضية للفكرة القوميّة. حزبان، أو فرعان لحزب واحد، بدعوان للوحدة العربيّة ويتقاتلان بالسيّارات المفخّخة. حزبان يؤمنان بالقوميّة العربيّة ويفشلان في توحيد جهودهما وقواهما. لم يكن صعود الفكر القطري (الوطني العراقي في العراق والفكر الشامي أو القومي السوري في سوريا أخيراً) إلا نتيجة منطقيّة لزوال جاذبيّة الفكرة القوميّة على يد البعث. لم يعد حزب البعث كما في بداياته يرتبط بأذهان الناس بتوحيد العرب وتحرير فلسطين والزهو بالتاريخ العربي. أصبحت الفكرة البعثيّة لا تعني أكثر من وسائل تعذيب مبتكرة وخطاب تخويني مبتذل ووسائل قتل واغتيال تجاوزت القارات. والأمة العربيّة تلخّصت بعد وصول البعث إلى السلطة في شخص الحاكم. الطاغية، في دمشق وفي بغداد. البعث كان أسوأ داعيةً للقوميّة العربيّة في تاريخنا الحديث. لم يصب الفكرة القوميّة السورية ما أصاب البعث، لأن الحزب لم يصل إلى السلطة أو يتلوّث بها باستثناء تجربة الحزب وأسعد حردان في الحكم. (استعان رفيق الحريري والنظام السوري بالحزب السوري القومي الاجتماعي لضرب الحركة العمالية في لبنان).

إن ارتباط اسم جمال عبد الناصر بالفكرة القوميّة أمدّها بالقوة، لكن في زمانه أكثر بكثير مما في غيابه. لا يزال اسم الرجل مطبوعاً بالفكرة القوميّة، لكنه أهمل خلق حركة وحدويّة جامعة في كل العالم العربي. كانت حركة القوميّين العرب أقرب إلى المثال الناصري لكنها أصيبت بـ «التحوّل» بعد هزيمة 1967 وامرت فروعها في الأقطار العربيّة بالتحوّل إلى أحزاب يساريّة (لكن لماذا لم يتم التحوّل عبر الحركة الأمّ، خصوصاً أن تجزئة الحركة إلى حركات ومنظمات في الأقطار فشلت في تحريك الأوضاع كثيراً، بعكس عمر ونفوذ حركة القوميّين العرب، نسبياً). عبد الناصر مارس القوميّة العربيّة في كل الدول العربيّة عبر دعم حركات التحرّر العربيّة وفي وضع شعارات لا تزال ماثلة أمامنا، وفي ضخّ إعلام جامع وحدوي: يكفي أن «صوت العرب» كانت مسموعة في كلّ أرجاء العالم العربي وكانت قوى الاستعمار تشوّش على بثّها (وثائق أميركية تتحدّث عن مدى اهتمام أميركا بضخّ بثّ إذاعي قوي في مواجهة «صوت العرب»).

وكان تأسيس الجامعة العربيّة في بيروت تجسيداً خلّاقاً للفكرة القوميّة التي أراد عبد الناصر زرعها. وكانت الجامعة قبل الحرب تجذب بالفعل طلاباً من كل أنحاء العالم العربي، من الخليج إلى المغرب. لكنّ عبد الناصر، ربما لانشغاله بقضايا الحرب مع إسرائيل والإعداد للتحرير والحرب في اليمن والإنهاك الذي تعرّض له على يد مؤامرات الغرب والرجعية العربية والبعث، لم يتفرّغ لإنشاء حركة عربية منظمة. وكان يمكن لهذه الحركة، لو أن عبد الناصر عمل على تنظيمها، أن تثبّت فكر الناصريّة في مصر وخارجها بعد رحيله. لكنّ السادات نجح في دفع مصر في اتجاه مختلف في غضون سنتيْن فقط على رحيل عبد الناصر. والتنظيمات الناصرية في العالم العربي لم تعثر أو هي تفرّقت أيادي سبأ.

الفكرة القومية العربية ليست بخير لأن النظام العربي الرسمي استثمر في نقيضها، كل دول الخليج العربي زرعت الفكرة القُطريّة، وحتى النظامان البعثيان في سوريا والعراق جنحا نحو القطريّة في المرحلة الأخيرة من حكم صدّام وفي سوريا منذ اندلاع الانتفاضة. والإعلام والثقافة العربيّة هما بأيدي أمراء وشيوخ الرجعيّة الذين استعملوا المحطات الفضائيّة لضخّ فكر التجزئة والفرقة. صحيح أن النظام السعودي يستعين بفكرة العروبة لكن ذلك يحدث فقط في أماكن يكون فيها وجود لحركات مقاومة تحظى بدعم من إيران، أي في فلسطين ولبنان. لكنّ العروبة هذه ليست إلا شعارات يرفعها النظام السعودي في وجه إيران فقط. العروبة الرسميّة باتت سلاحاً دعائيّاً يُوجّه ظرفيّاً ضد إيران لمعاقبتها على دعم حركات مقاومة تزعج وتذلّ إسرائيل. لكن كل مسالك النظاميْن السعودي والإماراتي تتعارض مع العروبة وتضخّ نسقاً من القُطريّة المُقزّزة في الشوفينيّة. النظام السعودي يزعم العروبة في خطب مسؤوليه وينشر جيشه الإلكتروني لتحقير «عرب الشمال». الفكر العروبي لم يجد يوماً موطئ قدم في بلاط الحكام في الخليج. والنظام القطري دعم الفكر العروبي في بداية انطلاقة «الجزيرة» لكنه بحلول عام 2011 اختار الرابطة الإخوانيّة هدفاً في الدعوة السياسيّة.

الفكرة القومية لم تمت. هي لا تزال موجودة في أهواء الرأي العالم العربي. لكنها تتعرّض للضرب والتحدّي من قبل إعلام التفرقة والتجزئة. واصحاب الملبارات في الجمهوريّات العربيّة يحرصون على تمويل إعلام شديد المحليّة يهتم بقضايا المحلّة والحيّ أكثر من قضايا تعني العرب أجمعين. وإعلام الخليج (الترفيهي أو الإخباري) يضخّ فكر الانقسام والتحريض، والتحالف الخليجي (المُعلن حديثاً) مع إسرائيل يحارب الهموم القوميّة مخافة إغضاب الحساسيات الإسرائيليّة. وإعلام دول الخليج بعيد جداً عن أي هموم مشتركة خارج حدود المشيخة أو الإمارة أو المملكة أو السلطنة. لكن فقط في مواجهة إيران، يذكرون العروبة.

لكن هل هي حقاً عروبة عندما يلهج بحمدها انعزاليّو لبنان مثل سمير جعجع والكتائب وغيرهما؟ تتعارض الفكرة القومية مع أنظمة الاستبداد التي يخاف طغاتها من شعوبهم. إن تحرّر الشعب العربي من سلطة أنظمة الاستبداد من شأنه رفع الحواجز بين العرب وإزالة القيود التي تعيق حركة الناس والبضائع عبر الحدود. والأنظمة المتحرّرة من سلطة الأسر الحاكمة وسلطة الاستعمار الغربي ستجد أن التكافل والتنسيق الاقتصاديّيْن العربيّيْن، كما الأمن القومي العربي ـ بتعريف الشعب وليس بتعريف أنظمة تفهم من الأمن أمن تسلّطها وجوْرها ـ كل ذلك يعود بالنفع على الجميع. لكنّ الاستعمار لن يسمح بذلك: الغرب دخل بلادنا لتقسيمها لتسهيل السيطرة عليها، وهو سيمعن في بلادنا حروباً وفتناً كي يمنع الوحدة والتنسيق. والرئيس الحالي جو بايدن، ووزير خارجيّته كانا من دعاة تقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم. ويسخر بعضهم من نظريّة تآمر الغرب في بلادنا.

الهُويّات لا يمكن أن تُخلق بقرار لكنّ الهويّات والأهواء السياسية عرضة للتأثر بالأحداث السياسيّة والحروب والتحريض الدعائي الإعلامي. رسّخ السادات الهويّة المصريّة على حساب الهويّة العربيّة، لكن هذا لا يعني موت الهويّة العربيّة. والتحرّر المؤقت للشعب المصري بعد انتفاضة 2011 شهد حنيناً إلى زمن عبد الناصر وارتفعت شعارات قوميّة فيه. لا، لا يمكن تصديق إعلان موت القوميّة العربيّة، لكنّ أعداءها استولوا على الحكم في العواصم العربيّة المؤثّرة، كما أن دول الغرب وإسرائيل لم تقلّل من جزعها من مضاعفات انطلاق عقيدة قوميّة في أوساط الشعب العربي. الاستعمار وأدواته بين الطغاة. يريدوننا مقسّمين مشرذمين متصارعين متحاربين. والقومية لا يجب أن تكون بالضرورة نسخة عن التناحر ووسائل التعذيب البعثي.

لكنّ أنظمة التحريض المذهبي في الخليج تريد من أجل تصليب تحالفها مع إسرائيل أن لا تشعر بعروبتنا. تريد منا أن نشعر بجرعات الصهيونيّة التي يحرص الإعلام السعودي والإماراتي على تقديمها إلينا. ومن دون مقاومة هذه الجرعات يكون للصهيونيّة مستقبل بيننا. ومقاومة إسرائيل لا تكتمل من دون مقاومة الفكر الذي يسهّل لها مؤامراتها. الصهيونيّة ليست قدراً عند العرب. مقاومتها يجب أن تكون القدر.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

لا، لا يمكن تصديق إعلان موت القوميّة العربيّة، لكنّ أعداءها استولوا على الحكم، إضافة إلى خشية الغرب وإسرائيل من انتشار هذه العقيدة في أوساط الشعب العربي

«جمول» والمؤتمر الثاني وفرج الله الحلو

سعد الله مزرعاني *

على مسافة حوالى 10 أيام من ذكرى تأسيس جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية (جمول) الـ 39، ينبغي قول بعض الملاحظات، حول أمور أساسية بشأن هذا الحدث الوطني الكبير، أي التصدي الشعبي للعدوان الإسرائيلي على لبنان عام 1982. لقد كان تصدياً مشتركاً جبهوياً، بالسلاح قررته مسبقاً أحزاب لبنانية أساساً، توقعت أن العدو سيجتاح لبنان لحسم الصراع فيه، وإيصال عملائه وحلفائه، إلى السلطة، بغية عقد معاهدة «سلام» مع لبنان بعد تحويله إلى شبه محمية إسرائيلية.

ربما تكون الأيام العشرة المنصرمة كافية لتهدئة بعض الانفعالات الصادقة والمخلصة بعيداً عن المحاكمات والاستنتاجات غير الموضوعية. إلّا أنها ينبغي أن تساعد أيضاً على التوقف المدقّق بشأن موجة الاستغلال المتواصلة. وهي موجة لم ولن تتوقف. جوهرها وضع تراث مقاومة الأمس في وجه مقاومة اليوم. يحصل ذلك ليس حرصاً على إنصاف «جمول» بل للنيل من المقاومة الراهنة ضد العدو الصهيوني خصوصاً. وهي مقاومة استمرت، وقوي عودها، وباتت جزءاً فاعلاً في مشهد الصراع الإقليمي، خصوصاً إثر فشل عدوان تموز عام 2006 الذي نُفّذ بقرار أميركي بعد تعثر غزو العراق.

لم يكن قرار التصدي بالسلاح للعدو الصهيوني المحتل أمراً بديهياً في مسيرة الحزب الشيوعي اللبناني. ذلك القرار الجدي والمسؤول والتاريخي أصبح ممكناً فقط بعد تحولات انعطافية بدأها الشهيد فرج الحلو حين واصل من موقعه القيادي، في الحزب الشيوعي اللبناني السوري، الموحّد آنذاك، مناهضة قرار تقسيم فلسطين عام 1947 رغم موافقة الاتحاد السوفياتي المفاجئة عليه. استحق يومها عقاباً قاسياً، بل إرهابياً، من أمين عام الحزب الشيوعي في لبنان وسوريا خالد بكداش الذي مثّل طويلاً أداة القيادة السوفياتية وعصاها الغليظة في وجه «المنحرفين» عن الصراط السوفياتي «الأممي» المستقيم. رفض قرار التقسيم كان يفترض مبدئياً اعتماد أو تأييد ودعم نهج مقاومة الاغتصاب الصهيوني لفلسطين الذي حصل بدور مباشر للمستعمر البريطاني (المنتدب) وبرعاية كاملة لاحقة من قبل حكومات واشنطن. انعكس قرار الاتحاد السوفياتي المفاجئ سلبياً، على الأحزاب الشيوعية التي أيّدت القرار. أما الشيوعيون الفلسطينيون فقد تشتتوا بين الحزب الشيوعي الإسرائيلي والحزب الشيوعي الأردني وضاع اسم بلدهم من هويتهم ومشروعهم السياسيين!

لم يكن موقف فرج الله الحلو برفض قرار التقسيم أمراً منعزلاً. لقد كان جزءاً من نهج عام (سُمي «مدرسة فرج الله»). وهو نهج ديمقراطي نقدي في التنظيم والقيادة، وواقعي شعبي في المقاربات والأساليب، متواضع في العلاقات داخل الحزب وخارجه، مبادر في السياسات الوطنية والقومية، من خلال الإعلام والكتابة وصيغ العمل... يلخّص كل ذلك قول شهير له: «نريد أن يكون هذا الساحل العربي (لبنان) منبت حركة وطنية جديدة... تحتل مكاناً في الطليعة بين الحركات الوطنية في الأقطار العربية الشقيقة».

سياسات بكداش وأساليبه أثارت استياءً واسعاً في صفوف الشيوعيين اللبنانيين والسوريين. تراكم الاعتراض عليها بعد أن تعاظم ضررها الفكري والسياسي والتنظيمي في أواسط الستينات وانفصال الحزبَين عام 1964. فرضُ انعقاد المؤتمر الثاني التاريخي (1968) للحزب الشيوعي اللبناني، أحدث تغييراً كبيراً في السياسات والعلاقات الداخلية والخارجية. أقرّ المؤتمر برنامجاً مرحلياً ونظاماً داخلياً ووثيقة تقييمية مهمة، وانتخب قيادة شابة جديدة هي من حضّر وبلور وقرّر المسار الجديد. كان فرج الله حاضراً بقوة في كل ذلك: نهجاً وإعادة اعتبار لموقعه النضالي وإدانة للافتراءات ضده وضد نهجه في الحقلين الداخلي والقومي... كثّف مفكرون شيوعيون، أبرزهم عمقاً المفكر الشهيد مهدي عامل، الخلاصات النظرية لتلك السياسيات. في التحضير للمؤتمر الثاني وفي وهج نتائجه أُعيد الاعتبار للشرعية والمؤتمرات وانطلقت مرحلة شاملة في المبادرات والتحالفات والعمل النقابي والقطاعي والشبابي والإعلامي والثقافي والفكري... تطبيقاً لحلم قيام «حركة وطنية جديدة» على هذا «الساحل العربي»! ومن ضمن ثنائية الدعوة لوحدة عمال العالم (ماركس) وكل الشعوب المضطهدة (لينين).

بعد المؤتمر الثاني مباشرة تصاعدت الاعتداءات الصهيونية، انتقال قيادة المقاومة الفلسطينية إلى لبنان رفع من سخونة المواجهة في الجنوب. أسس الحزب الشيوعي «الحرس الشعبي» من ضمن الدعوة إلى مواجهة الاعتداءات عبر سياسة رسمية تتولى أيضاً تحصين «القرى الأمامية». على نطاق أوسع نشأت «الجبهة المشاركة في الثورة الفلسطينية»، وبالنسبة إلى الأحزاب الشيوعية منظمة «الأنصار» المشتركة التي تولى مسؤوليتها القائد الشيوعي الفلسطيني الأردني عبد العزيز العطي.

كان يواكب ويرعى كل تلك المسيرة في شتى عناوينها أمين عام الحزب الشيوعي آنذاك القائد المخضرم، والمبدع في حقل الصحافة والإعلام والثقافة، (والذي كان قد شكل مع فرج الله ثنائياً رائعاً) نقولا شاوي. لكن كان للشباب الذي حضر دور تنفيذي حاسم في إدارة عمل الحزب في كل الحقول. كان جورج حاوي الأبرز: نائباً للأمين العام، وثم أميناً عاماً. تميز حاوي بكفاءته وديناميته ومبادراته في لبنان والمنطقة. وهو، من موقعه في قيادة الحزب وبسبب حيويته المعروفة، شارك أمين عام منظمة العمل الشيوعي التوقيع على بيان إعلان «جمول» التي قدمت إسهاماً وطنياً في المقاومة والتحرير بدور مميز للحزب الشيوعي (ضمت الجبهة أيضاً «التنظيم الشعبي الناصري» و«حزب العمل الاشتراكي العربي»). شارك في عملياتها، بنشاط كبير. وتحت نفس الاسم، الحزب السوري القومي الاجتماعي وسواه وعشرات المناضلين الفلسطينيين...).

توفرت للحزب قيادة كفوة ومتعاونة (ألا بعض التباينات والعنعنات). استمر الوضع، تقريباً على هذا النحو حتى انهيار الاتحاد السوفياتي حيث حصلت تراماتيكية ضربت معظم «القيادة التاريخية». جورج حاوي استقال بشكل غير مقنع. آخرون ذهب معظمهم إلى خيارات نقيضة، عوامل متعددة ومتلاحقة أخرى تركت ندوباً كبيرة في جسم ومسيرة الحزب: اتخاذ قرار، رعاه ونفذه الفريق السوري المعني بإدارة الوضع اللبناني بعد «الطائف»، بعزل الحزب وتحجيمه، جنوح معظم قيادته نحو مواقع اليمين. مراوحة الحزب في العجز عن إعادة تأسيس مشروعه في ضوء متحولات جوهرية خارجية وداخلية... توقف دور الحزب في المقاومة، وكان 10% من لبنان ما زال محتلاً، ما ضاعف من التساؤلات والشكوك والحيرة والضياع. نشطت للمرة الأولى هذا الفراغ في الحزب فئات منغلقة فكرياً أو ذات تجربة أمنية. هي توسلت بعث العصبية والتشدّد والانغلاق الفكري، مع عودة شبه علنية للأساليب البكداشية الستالينية في التنظيم وفي المواقف والعلاقات الداخلية والخارجية.

الأحرى بجيل اليوم أن يدرك هذه الحقائق وأن يواصل الصفحات الخالدة التي سطرها حزبه في الدفاع عن القضية الوطنية والقومية ذات الطابع التحرري الشامل. بعض هذا ال

الحدث

الخرطوم تمهّد للتطبيع الشامل: مصالح إسرائيل الأمنية برعايتنا

تستعدّ السلطات السودانية، وتحديداً الجناح العسكري منها للقفز باتفاقية التطبيع المُوقّعة بينها وبين العدو الإسرائيلي نحو مرحلة أكثر تقدّماً، تشمل تعاوناً امنياً واستخبارياً مع كلّ من تل ابيب وواشنطن. وتدشينا لتلك المرحلة، التي يبدو أن العسكر يستعجلها في محاولة حيازة حصانة مسبقة قبل اتّخاذ أيّ خطوة مضادّة لاتفاقه مع المدنيين، بدأت أكبر حملة استهداف للأصول الفلسطينية على الأراضي السودانية، والتي عدّها مصدر في حركة «حماس» سرقة موصوفة

غزة - رجب المدهون

ضمن مسار تطبيع العلاقات بينها وبين العدو الإسرائيلي، أطلقت السلطات السودانية، أخيراً، هجوماً كبيراً ضدّ الأصول والشركات المالية الفلسطينية في السودان، وخاصة تلك التي كانت تحصل سابقاً على تشجيع على الاستثمار. وبحسب مصادر فلسطينية تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن الجناح العسكري في «المجلس السيادي» السوداني اتّخذ سلسلة قرارات ضدّ الفلسطينيين على الأراضي السودانية، بناءً على طلبات قدّمتها إليه دولة الاحتلال ومعها الولايات المتحدة بضرورة إغلاق تلك الأصول، التي يصبّ مقرّبون من الحركة، بالإضافة إلى المؤسسات الفلسطينية الأخرى التي قد يكون لها علاقة بدعم القضية الفلسطينية، بحسب المصادر نفسها، التي لفتت إلى أن العسكر يستعجل إتمام عملية التطبيع قبل حلول استحقاق تسليم السلطة لحكومة مدنية انتقالية، سعياً منه، على ما يبدو، إلى توفير حصانة أميركية له، في حال أراد الانقلاب على الاتفاق، والتملّص من التزامه الذي لم يتبقَّ إلا 50 يوماً لاستحقاقه، وفقاً للمصادر الفلسطينية عينها.

وكانت وكالة رويترز ذكرت، أوّل من أمس، أن السلطات السودانية تمكّنت من مصادرة جميع أصول حركة «حماس» على أراضيها، بما يتضمّن فنادق وعقارات وشركات متعدّدة الأغراض ومحطة تلفزيونية وأراض وصرّافات. وتعليقاً على ذلك، نفت الحركة، على لسان الناطق باسمها حازم قاسم، وجود أيّ استثمارات لها في السودان، مؤكدةً أنه ليست لها أيّ مشكلة مع أيّ جهة سودانية. وأوضح مصدر قيادي في حركة «حماس»، من جهته، في تصريح إلى «الأخبار»، أن الشركات التي تحدّثت عنها السلطات السودانية أغلبها لا علاقة لها بالحركة أو بشخصيات مقرّبة منها، معتبراً أن ثمّة استهدافاً لجميع الشركات الفلسطينية بطلب إسرائيلي، مبيّناً أن الاستثمارات الفلسطينية في السودان تُقدّر بمليارات الدولارات و«ما جرى سرقة لهذه المقدّرات». وأشار إلى أن «المجلس العسكري في السودان استحوذ على جميع الشركات الفلسطينية التي تلقّت تسهيلات في الاستثمار خلال فترة حكم الرئيس عمر البشير، بغضّ النظر عمّن يمتلكها، بذريعة أن هذه الشركات تابعة لحركة حماس»، مضيفاً أن «عمليات استهداف الفلسطينيين بدأت خلال العام الماضي»، بعدما أعلن السودان بدء مسار تطبيع علاقاته مع إسرائيل. وهو مسار شهد مدّاً وجزراً مذّاك، قبل أن يشهد أخيراً عملية إعادة تحريك في اتّجاه تطوير العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والأمنية والتمهيد لفتح سفارات متبادلة. والجدير ذكره، هنا، أن الولايات المتحدة أزالت، العام الفائت، اسم السودان من «قائمة الدول الراعية للإرهاب»، في إطار «مكافأته» على قبوله التطبيع مع تل أبيب.

اتخذ الجناح العسكري في «المجلس السيادي» سلسلة قرارات ضدّ الفلسطينيين أخيراً (الأناضول)

> نقل سياسيون سودانيون إلى «حماس» أن العسكر ينوي توقيع اتفاقية تطبيع شاملة

مقالة

طموحات فرنسا في مرآة الواقع

وليد شرارة

لن ينجح الكلام المعسول، الأميركي والبريطاني، عن تاريخية العلاقات مع فرنسا وعمقها، وأهمية التعاون معها، في التخفيف من وقْع الشعور بالإهانة بين مسؤوليها ونخبها ورأيها العام، بعد «الطعنة في الظهر» التي تعرّضت لها من واشنطن ولندن وكانبيرا. مبعث المرارة الفرنسية ليس مجرّد إلغاء صفقة الغواصات الضخمة التي عقدتها مع أوستراليا، وملابساته، بل ما يكشفه هذا الأمر أمام العالم من تراجع مريع في موقعها ومكانتها. جوهر الموضوع هو صورة فرنسا، لا قدراتها المنحدرة باطّراد، ودائرة نفوذها الدولية التي تضمر باستمرار منذ ثلاثة عقود. وخلال السنوات الماضية، دار نقاش علني فيها بشأن واقع ذلك الانحدار، وسبل الحؤول دونه، أو الحدّ منه على أقل تقدير. وأتت الاستدارة الأطلسية التي شرع بها نيكولا ساركوزي، عند وصوله إلى السلطة في أيار 2007، وتعزّزت خلال عهدَي فرنسوا هولاند وإيمانويل ماكرون، ترجمة لقناعة غالبيةٍ من النخب وقطاع وازن من الرأي العام بأنّ التخلّي عن ثوابت الاستقلالية، النسبية، في السياسة الخارجية حيال الولايات المتحدة، التي أرساها الجنرال شارل ديغول، والاندراج في إطار الإجماع الاستراتيجي الغربي، هما الخياران الواقعيّان، اللذان يكفلان بقاء فرنسا جزءاً من «نادي الأقوياء».

صحيح أن ماكرون تحدّث، قبل عامين، عن دخول حلف «الناتو» في حالة موت سريري، لكنه فعل ذلك استنكاراً لسياسات دونالد ترامب الأحادية، لا كرهاً بالحلف. مَن يذكر الاحتفاء الحارّ في باريس بانتصار مرشّح الديموقراطي، جو بايدن، وبوزير خارجيّته «الأوروبي الهوى»، أنتوني بلينكن، يعي قوة الآمال التي انتعشت بعودة العلاقات الأطلسية إلى سابق عهدها. نجح بايدن وفريقه في إغواء المسؤولين الفرنسيين، والأوروبيين، من خلال تأكيده على محورية التحالف بين الديموقراطيات، القائم على قاعدة النِدّية لا الاستتباع، والقيادة المشتركة «للنظام الليبرالي الدولي» في مواجهة القوى «التحريفية الخبيثة» الصاعدة. والساعية إلى إضعافه، إن لم يكن تدميره. ظنّت فرنسا الرسمية أن التحالف في عُرف بايدن لا يعني التطابق بالضرورة في جميع الشؤون الدولية. لكن «أزمة الغواصات» أظهرت أن ما يطلبه الرئيس الأميركي في حربه الراهنة ضدّ الصين هو الانقياد الأعمى خلفه، والتطابق الكامل مع توجّهاته حيالها. ففي ظلّ احتدام الاستقطاب الدولي بين بكين وواشنطن، تعني الأطلسية فعلياً الوقوف صفاً واحداً وبلا نقاش خلف الثانية، وألّا التعرّض لأنواع مختلفة من العقاب والإقصاء والتهميش.

رهانٌ أطلسيٌّ خائب

لم تكن نهاية الحرب الباردة إيذاناً ببدء حملة أميركية لتوسيع النفوذ والسيطرة باتجاه بلدان المعسكر الاشتراكي السابق وبعض بلدان الجنوب التي لم تخضع لهيمنة واشنطن، بل هي امتدّت لتشمل الدول والمناطق التي كانت في ما مضى جزءاً من دائرة النفوذ الفرنسية، وفي أفريقيا جنوب الصحراء تحديداً. مَن يذكر النزاعات التي اندلعت في منطقة البحيرات الكبرى، الاحتقان الحارّ في باريس بانتصار المرشّح الديموقراطي، جو بايدن، وبوزير خارجيّته «الأوروبي الهوى»، أنتوني بلينكن، يعي قوة الآمال التي انتعشت بعودة العلاقات الأطلسية إلى سابق عهدها. نجح بايدن وفريقه في إغواء المسؤولين الفرنسيين، والأوروبيين، من خلال تأكيده على محورية التحالف بين الديموقراطيات، القائم على قاعدة النِدّية لا الاستتباع، والقيادة المشتركة «للنظام الليبرالي الدولي» في مواجهة القوى «التحريفية الخبيثة» الصاعدة. والساعية إلى إضعافه، إن لم يكن تدميره. ظنّت فرنسا الرسمية أن التحالف في عُرف بايدن لا يعني التطابق بالضرورة في جميع الشؤون الدولية. لكن «أزمة الغواصات» أظهرت أن ما يطلبه الرئيس الأميركي في حربه الراهنة ضدّ الصين هو الانقياد الأعمى خلفه، والتطابق الكامل مع توجّهاته حيالها. ففي ظلّ احتدام الاستقطاب الدولي بين بكين وواشنطن، تعني الأطلسية فعلياً الوقوف صفاً واحداً وبلا نقاش خلف الثانية، وألّا التعرّض لأنواع مختلفة من العقاب والإقصاء والتهميش.

> أظهرت «أزمة الغواصات» أن ما يطلبه بايدن في حربه ضدّ الصين هو الانقياد الأعمى خلفه

رهانٌ أطلسيٌّ خائب

لم تكن نهاية الحرب الباردة إيذاناً ببدء حملة أميركية لتوسيع النفوذ والسيطرة باتجاه بلدان المعسكر الاشتراكي السابق وبعض بلدان الجنوب التي لم تخضع لهيمنة واشنطن، بل هي امتدّت لتشمل الدول والمناطق التي كانت في ما مضى جزءاً من دائرة النفوذ الفرنسية، وفي أفريقيا جنوب الصحراء تحديداً. مَن يذكر النزاعات

القصة معروفة. تراجع شيراك في أواخر عهده الثاني عن «ثوابته»، وقرّر التصالح مع واشنطن من بوابة لبنان، عبر الصياغة المشتركة الأميركية ـ الفرنسية للقرار 1559. لم يفعل ساركوزي سوى المضيّ بهذا الخيار إلى نهايته المنطقية، مع إعادة بلاده إلى القيادة المندمجة لحلف «الناتو»، وتبنّي خطاب الأخير عن الوضع الدولي، وانقسام العالم إلى معسكرَين متقابلَين: الغرب في مواجهة «الآخرين» غير الغربيين. وغزا أنصار هذه التوجّهات المؤسّسات الفرنسية المعنيّة بالسياسة الخارجية، وزارتَي الخارجية والدفاع أساساً، وأقصوا أنصار التوجّهات التقليدية للسياسة الفرنسية عن مواقع القرار والتأثير. تأطلست فرنسا على المستويات كافة، الفكري والمفاهيمي والسياسي، وما الحملة الشعواء، التي تُشنّ ضدّ الصين في وسائل إعلامها ومراكز دراساتها، على رغم عدم وجود تهديد صيني ملموس لها ولمصالحها الحيوية، حتى في أفريقيا حيث تتعايش الشركات الصينية بسلام مع أنظمة «صديقة» لباريس، سوى مؤشّر واضح على تجذّر الخيار الأطلسي في وعي قسم عظيم من النخبة الفرنسية ووجدانها. آخرُ تمظهرات هذه الحملة، وليس أقلّها أهمية، هو التقرير الصادر في 650 صفحة عن «معهد الدراسات الاستراتيجية» في الكلية الحربية الفرنسية، بعنوان «عمليات الدعاية والتأثير الصينية. لحظة ميكيافيلية». من يطّلع على التقرير يخال أن الصين في صدد الاستيلاء من الداخل على الدولة ومؤسّساتها في فرنسا وبقية دول الغرب، ويكيل تهماً بالعمالة لمراكز دراسات معروفة، كـ«معهد العلاقات الدولية والاستراتيجية» الذي يرأسه الخبير الاستراتيجي، باسكال بونيفاس، لمجرّد موافقته على تنظيم ندوة مشتركة مع مركز دراسات صينيّ! ولسخرية الأقدار، صدر هذا التقرير «الخطير» في اليوم نفسه الذي أخطرت فيه أوستراليا فرنسا بإلغائها عقد الغواصات.

خيار الاستقلال الباهظ الكلفة

الإهانة الناجمة عن إلغاء العقد المذكور، حدت بوزير الخارجية، جان إيف لو دريان، وبعدد من المحلّلين والمعلّقين، إلى التلويح بإمكانية خروج فرنسا من «الناتو»، وحضّها بقية شركائها الأوروبيين على بلورة سياسة دفاعية مستقلّة. وعلى الرغم من وجود أنصار لمثل ذلك الخيار بين المثقّفين وبعض القوى السياسية غير الرشّحة للوصول إلى السلطة، فإن الفكر السياسي المُهيمن، حتى اللحظة، بين النخب السياسية هو أطلسي حتى النخاع. هذا ما اتضح من ردود فعل الكثير من الخبراء في العلاقات الدولية، كفاليري نيكي وفرنسوا هايسبورغ مثلاً، الذين وجّهوا لواشنطن نقداً أخلاقياً، من نوع «ما هكذا تتمّ معاملة الحلفاء»، من دون التوصية بأيّ إجراء جدّية للتوجّهات الأطلسية.

السؤال الصائب هو في الحقيقة ذلك المرتبط بامتلاك فرنسا وبقية الدول الأوروبية للإرادة والقدرة على الأخذ بخيار الاستقلال عن الولايات المتحدة على المستوى الاستراتيجي. تقرير آخر صدر في ربيع 2021، على موقع دورية «أنترناشيونال سيكيورتي» للباحثَين، الفرنسي هنري ميير، والأميركي ستيفن بروكس، بعنوان «أوهام الاستقلال: أسباب عدم قدرة أوروبا الحفاظ على أمنها إذا انسحبت الولايات المتحدة» شكّل تحدّياً فكرياً لافتاً للمتحمّسين للاستقلال الأوروبي. يرى الباحثان، باختصار، أن أوروبا لا تملك القدرة على الاستقلال الدفاعي عن واشنطن، نتيجة عقبتَين رئيسيّتَين: ما يسمّونه «الضوضاء الاستراتيجية»، أي غياب الإجماع الاستراتيجي بين البلدان الأوروبية على تحديد التهديد الرئيسي؛ فبعضها يرى روسيا عدوّاً أساسياً، بينما يعتقد بعضها الآخر بأن الإرهاب واللااستقرار في الشرق الأوسط أو في أفريقيا هما التهديد الأقرب. أمّا العقبة الثانية، فهي تراجع القدرات الردعية العسكرية الأوروبية بشكل هائل في العقود الثلاثة الماضية. فعلى مستوى القوات البرية مثلاً، انخفض عدد الدبابات للبلدان الأوروبية بنسبة 85%، بين عامَي 1990 و2020، والأمر نفسه ينطبق على ناقلات الجند المدرّعة التي انخفض عددها بنسبة 64%، وأيضاً على الدفاعية التي تراجعت بنسبة 58%. روسيا تتفوّق في هذه الميادين على الدول الأوروبية مجتمعة، في حال انسحاب القوات الأميركية. أمّا في ميدان سلاح الجو، وعلى الرغم من امتلاك الدول الأوروبية طائرات متطوّرة تكنولوجياً، فإنّ روسيا قامت بتحديث ناشط لأسطولها الجوي يسمح لها بمنع سيطرة الأوروبيين على الأجواء، ما يعني أنّ الاشتباك البرّي سيصبح حتمياً معها، إذا قرّرت مهاجمة دول أوروبية.

نقطة أخرى بالغة الأهمية، هي تلك المتعلّقة بالقيادة والتنسيق والتحكّم. حتى اللحظة، تتولّى الولايات المتحدة هذا الدور في إطار «الناتو». لكن، في حال انسحابها، هل ستستطيع الدول الأوروبية التوافق على كيفية تولّيها هذا الدور، أو كما يقول الباحثان «هل سيقبل الجيش الفرنسي بقيادة جنرال ألماني، أو بمَجري، لأحد ألويته المدرّعة؟». التساؤلات التي يطرحها هذا التقرير مشروعة، وكذلك غيرها، وأوّلها هو مدى استعداد النخب الأوروبية لنبذ الأطلسية كخيار، والنظر إلى روسيا والصين وغيرهما من قوى الجنوب الصاعدة، لا كأعداء، بل كشركاء، محتملين على قاعدة علاقات ندّية. الجواب حتى اللحظة هو بالسلب، من دون شك.

تونس

تكتّل حزبي بوجه الرئيس سعيد يطلق مسار تغيير النظام

جاءت الأوامر الرئاسية الأخيرة التي أصدرها قيس سعيد لتُوجّه ضربة إضافية للأحزاب، التي لم تجد بدّاً من تناسي خلافاتها موقّتاً، ومحاولة تشكيل جبهة موحّدة بوجه الرئيس. وفيما يبدو الأخير غير آبه بأتساع دائرة الرافضين لإجراءاته لتشمل حتى القوى التي حافظت سابقاً على مسافة من المناهضين له، فهو يستعدّ للمضيّ في إجراء استفتاء على النظام السياسي والقانوني الانتخابي الجديدَين، واللذين ستتولّى صياغتهما، حصراً، لجنة من تشكيله وبرئاسته

تونس - أمينة الزياني

لم يبدُ من الهيّن، على الطيف السياسي التونسي، أن يتقبّل الأوامر الرئاسية الأخيرة التي أصدرها الرئيس قيس سعيد مساء الـ22 من أيلول، بل كان لتلك الأوامر وقْع الزلزال السياسي الذي أسال البيانات الرافضة والدعوات إلى التظاهر والاحتجاج، مقابل ترحاب شعبي واسع. وامتداداً لمشهد ما بعد الـ25 من تموز، ظلّت حركة «النهضة» وحلفاؤها السابقون في الحُكم على الخطّ التصادمي نفسه مع سعيد، فيما ارتأت المنظّمات الوطنية التريّث في إصدار مواقفها، حتى يوم أمس. وبعدما عمد سعيد، في ضربة أولى، إلى إقصاء الأحزاب من دائرة الفعل السياسي، وحشرها في زاوية ردّ الفعل، قرّر، في ضربة ثانية، سحب جميع الامتيازات الممنوحة للنواب، مدغدغاً بذلك مشاعر فئة واسعة من التونسيين الغاضبين من تمتّع هؤلاء بامتيازات مادية واعتبارية، ونفوذ واسع استُخدم في حالات كثيرة للمصالح الشخصية. وكما كان متوقّعاً، لم يعلن سعيد، صراحة أو مباشرة، إنهاء العمل بدستور 27 كانون الثاني 2014 الذي صاغه المجلس الوطني التأسيسي المنتخَب إثر انتفاضة 2011، بل علّق العمل بمواده المتعلّقة بكلّ من السلطات التشريعية والتنفيذية والهيئات الدستورية، وكلّ ما يتعارض مع التدابير الاستثنائية، وأضاف مقتضيات جديدة في حال شغور منصب رئيس الجمهورية، نتيجة وفاة الرئيس أو تعذّر ممارسته أعماله، بحيث يتولّى مهامّه رئيس الحكومة الجديد، ويحلّ وزير العدل مكانهما في حال تعذّرت على الاثنين ممارسة مهامّهما، وهو ما يستهدف، على ما يبدو، إنهاء أيّ احتمال لقيام رئيس البرلمان، راشد الغنوشي، على رأس الدولة.

كذلك، سحبت الإجراءات الجديدة، لفائدة الرئيس، جميع اختصاصات المتعلّقة بالقيادة والتنسيق والتحكّم. حتى اللحظة، تتولّى الولايات المتحدة هذا الدور في إطار «الناتو». لكن، في حال انسحابها، هل ستستطيع الدول الأوروبية التوافق على كيفية تولّيها هذا الدور، أو كما يقول الباحثان «هل سيقبل الجيش الفرنسي بقيادة جنرال ألماني، أو بمَجري، لأحد ألويته المدرّعة؟». التساؤلات التي يطرحها هذا التقرير مشروعة، وكذلك غيرها، وأوّلها هو مدى استعداد النخب الأوروبية لنبذ الأطلسية كخيار، والنظر إلى روسيا والصين وغيرهما من قوى الجنوب الصاعدة، لا كأعداء، بل كشركاء، محتملين على قاعدة علاقات ندّية. الجواب حتى اللحظة هو بالسلب، من دون شك.

صاحب السيادة ومصدر السلطات، ويمارسها بواسطة نواب منتخبين أو عبر الاستفتاء، ويقوم على أساس الفصل بين السلطات والتوازن الفعلي بينها، ويكرّس دولة القانون ويضمن الحريات العامة والفردية وتحقيق أهداف الثورة». هكذا، تنتقل البلاد، مجدّداً، إلى مرحلة التأسيس، فيما يتمّ تدريجياً محو ملامح كلّ المنظومة الدستورية والقانونية التي تسيّدت تونس عقداً من الزمن. على أن التأسيس، هذه المرّة، سيكون حكراً على الرئيس واللجنة التي سيعيّنها لصياغة الفصول الجديدة وعرضها على الاستفتاء، خلافاً لما شهدته سنوات المجلس الوطني التأسيسي، حيث تولّت صياغة الدستور أغلبيةٌ برلمانية حزبية («النهضة» وحلفاؤها)، ولم تعمد إلى تعديله إلّا بعد تصاعد موجة الاغتيالات السياسية والتي دفعت إلى حوار وطني، أنتج تعديلات طالت المبادئ العامة والحقوق والحريات. وإذ يستعدّ سعيد لإجراء استفتاء على النظام السياسي الجديد والقانون الانتخابي، فالمنتظر كثيرة للمصالح الشخصية. وكما كان متوقّعاً، لم يعلن سعيد، صراحة أو مباشرة، إنهاء العمل بدستور 27 كانون الثاني 2014 الذي صاغه المجلس الوطني التأسيسي المنتخَب إثر انتفاضة 2011، بل علّق العمل بمواده المتعلّقة بكلّ من السلطات التشريعية والتنفيذية والهيئات الدستورية، وكلّ ما يتعارض مع التدابير الاستثنائية، وأضاف مقتضيات جديدة في حال شغور منصب رئيس الجمهورية، نتيجة وفاة الرئيس أو تعذّر ممارسته أعماله، بحيث يتولّى مهامّه رئيس الحكومة الجديد، ويحلّ وزير العدل مكانهما في حال تعذّرت على الاثنين ممارسة مهامّهما، وهو ما يستهدف، على ما يبدو، إنهاء أيّ احتمال لقيام رئيس البرلمان، راشد الغنوشي، على رأس الدولة.

كذلك، سحبت الإجراءات الجديدة، لفائدة الرئيس، جميع اختصاصات المتعلّقة بالقيادة والتنسيق والتحكّم. حتى اللحظة، تتولّى الولايات المتحدة هذا الدور في إطار «الناتو». لكن، في حال انسحابها، هل ستستطيع الدول الأوروبية التوافق على كيفية تولّيها هذا الدور، أو كما يقول الباحثان «هل سيقبل الجيش الفرنسي بقيادة جنرال ألماني، أو بمَجري، لأحد ألويته المدرّعة؟». التساؤلات التي يطرحها هذا التقرير مشروعة، وكذلك غيرها، وأوّلها هو مدى استعداد النخب الأوروبية لنبذ الأطلسية كخيار، والنظر إلى روسيا والصين وغيرهما من قوى الجنوب الصاعدة، لا كأعداء، بل كشركاء، محتملين على قاعدة علاقات ندّية. الجواب حتى اللحظة هو بالسلب، من دون شك.

> غرقت البلاد خلال اليومين الماضيين في سيل من التأويلات الدستورية للأوامر الرئاسية الأخيرة

مُحدّث «الأخبار»، أن «تؤجّل القوى السياسية والمنظّمات خلافاتها وتقييماتها للعشرية الماضية، والتي سيحين في وقت لاحق تقديمها وتحميل المسؤولية للأطراف المتسبّبة في ما آل إليه الوضع في البلاد، وتصرف كلّ اهتمامها للتصدّي للإجراءات الرئاسية». ويلفت القومانيي إلى أن «النهضة

سحبت الإجراءات الجديدة، لفائدة الرئيس، جميع اختصاصات التشريع وسنّ القوانين (أ ف ب)

المطلق لقرارات سعيد، باعتبارها «انقلاباً سافراً على الشرعية والديمقراطية، يدفع بالبلاد إلى منطقة مخاطر عالية»، و«تأبيداً للوضع الاستثنائي يستدعي وقْفة حازمة من الحساسيات الوطنية في إطار نضال سلمي»، وفق ما قرّرت فيها «النهضة»، في بيان لمكتبها التنفيذي. ويعتبر رئيس اللجنة السياسية المُكلّفة من قِبَل الاستثنائية، محمد القومانيي، في حديث إلى «الأخبار» أنه «أمام المخاطر المتعاظمة التي دخلتها البلاد بعد الأمر الرئاسي الأخير، خاصة مع تعليق الدستور وفرض نظام موقّت لتنظيم السلطات ذي طابع رئاسوي، بدا لزاماً على الأطراف السياسية التشاور». ويرى أنه «بعد مضيّ الرئيس في ما يسمّيه الإصلاحات بصفة أحادية، و(تبنّيه) خطاب الكراهية والعنف، أضحى سعيد تهديداً جدّياً لمؤسسات الدولة، ومتحاملاً على جميع السلطات». ونتيجة لذلك، تطرح «النهضة»، وفق تجري مشاورات مع مختلف الأطراف لبحث الصيغ النضالية المناسبة للحوار»، مضيفاً أن حزبه «لم يَدعُ إلى تحرّكات في الشارع إلى غاية اللحظة، ولكنه يحتفظ بهذا الحقّ». وكانت «النهضة» صبّت جهودها، في المرحلة السابقة، على محاولة إيجاد تفاهمات وحلول مرنة تعيد الحوار والمؤسّسات إلى سالف عملها، ولكن سعيد أغلق هذا الباب بتعليقه الدستور مساء الأربعاء.

بالتوازي مع ذلك، بدأت ملامح الجبهات والتكتّلات السياسية المناهضة لسعيد بالتشكّل، لتجمّع من افترقوا لسنين وبلغوا حدّ تخوين بعضهم البعض، ومن ذلك قيام «الجبهة الديموقراطية» على أنقاض الأحزاب المنشقّة عن «المؤتمر من أجل الجمهورية»، أحد أذرع «التروبكا» الحاكمة إثر انتخابات 2011، والذي كان نصيبه من الحُكم رئاسة الجمهورية، عبر ذهابها لصالح الحقوقي منصف المرزوقي آنذاك، قبل أن يفقد منذ 2014 مقاعده البرلمانية، ويخسر أيضاً الانتخابات الرئاسية في الموعدين اللاحقين. وأعلنت «الجبهة الديموقراطية» أن «هذا التجمّع يهدف للتصدّي لانقلاب سعيد»، داعية إلى «عزل الرئيس وتمرّد المؤسستين العسكرية والأمنية عليه ورفض أوامره»، مؤكدة تأييدها التظاهرات والتحركات الاحتجاجية ضدّه، وعزمها الدفع نحو «الإطاحة بقصر قرطاج ومحاكمة مهندسي الانقلاب ومقترفيه»، وفق ما ورد في بيان صادر عنها. أمّا أحزاب الوسط الاجتماعي، والتي دارت سابقاً في فلك الرئيس حليفةً تارة ومحافِظة على مسافة منه تارةً أخرى، فقد ذهبت بدورها إلى رفض الأمر الرئاسي الأخير، وتجريد سعيد من شرعيّته بخروجه عن الدستور. ووقّع كلّ من «التيار الديموقراطي» و«التكتل» و«آفاق» و«الجمهوري» على بيان مشترك، للمرّة الثانية منذ 25 تموز المتسبّبة في ما آل إليه الوضع في البلاد، وتصرف كلّ اهتمامها للتصدّي للإجراءات الرئاسية». وبينما غرقت البلاد، خلال اليومين الماضيين، في سيل من التأويلات الدستورية للأوامر الرئاسية الأخيرة، إذ صبّت جلّها في الرفض

الحدث

يتوجه الناخبون الألمان، غداً للإدلاء بأصواتهم في أوّل انتخابات عامّة تجرى في البلاد، منذ 16 عاماً، لا تكون فيها أنجيلا ميركل مرشحة لتولّي منصب المستشاريّة (ما يعادل رئاسة الوزراء). السيّدة التي صعد نجمها السياسي في يوم وليلة، لحظة سقوط جدار برلين عام 1989، وقادت البلاد - وضمنياً الاتحاد الاوروبي - منذ عام 2005، قرّرت ألّا تخوض غمار الجولة الحاليّة. بعدما نجحت، عبر سياسات توافقيّة مع مختلف أطياف اليمين، في اجتياز سلسلة من الأزمات كان آخرها جائحة «كوفيد - 19». لكن ميركل، التي تغادر ألمانيا مستقرّة ومزدهرة، تترك لخليفتها إرثاً مسموماً بكمّ كبير من المشكلات التي اختمرت خلال عهدها، في وقت لا تبدو أيّ من الأطراف التي تخوض الانتخابات قادرة على تقديم ما يُقنع الناخبين. ولذلك، يُتوقّع أن تستمرّ محادثات تشكيل حكومة ائتلافية لعدّة أشهر بعد الانتخابات. وقد ينتهي الأمر إلى حكومة حدّ أدنى تعجز عن إنجاز الكثير

ألمانيا «الكئيبة» تنتخب الغد ليس أفضل

لندن - **سعيد محمّد**

بعدما عاش الألمان صيفاً صعباً، نتيجة الفيضانات المروّعة ومصاعب التعافي من جائحة «كوفيد - 19»، وتردّي هيبة حامييْهم الولايات المتّحدة لمصلحة صعود أقطاب أخرى، ها هم مدعوّون، يوم غدٍ الأحد، للإدلاء بأصواتهم في أوّل انتخابات عامّة، منذ 16 عاماً، لا تترشّح إليها مستشارتهم العتيدة، أنجيلا ميركل. هذه الأخيرة لطالما مثّلت صمّام أمان بالنسبة إليهم، في مواجهة العواصف والأنواء، ناهيك عن دورها في إدارة دفّة الاتحاد الأوروبي نحو مرافئ آمنة، على رغم تحدّيات كبرى، من الأزمة الماليّة العالميّة (عام 2008)، إلى إفلاس اليونان (عام 2009)، ومن قرار بريطانيا التخلّي عن عضويّتها في الاتحاد (عام 2016)، إلى موجة صعود اليمين الشعبويّ، بما فيه الترامبيّة في الولايات المتحدة، كما العلاقات المتقلبة مع روسيا، ومن استريم 2» لنقل الغاز منها، على رغم المعارضة الأميركية الشديدة.

أنجيلا ميركل. هذه الأخيرة لطالما مثّلت صمّام أمان بالنسبة إليهم، في مواجهة العواصف والأنواء، ناهيك عن دورها في إدارة دفّة الاتحاد الأوروبي نحو مرافئ آمنة، على

مخاوف الألمان من مرحلة ما بعد ميركل بدت واضحة من نتائج استطلاعات الرأي، خلال فترة الحملة الانتخابية - التي عادة ما تتّسم بالدقّة في ألمانيا - إذ لم يحظ أيٌّ من الأحزاب بتأييد كافٍ لتشكيل حكومة، واصبح في حكم المؤكّد أن التالي سيكون برلماناً معلّقاً ينتج حكومة ائتلافية من ثلاثة أطراف على الأقلّ، فيما بدا كافئة المرشّحين لخلافة ميركل في مقرّ المستشاريّة باهتين وغير مقنعين. وليست تلك المخاوف مرتبطة حصراً بقلق التغيير بحدّ ذاته، وإنما لإدراك الجميع، بمن فيهم أشدّ مؤيّدي ميركل، حاجة بلادهم بعد عقد ونصف من العيش تحت غطاء مستقرّ ومريح، حتميّة مواجهة كمّ هائل من المشكلات والاستحقاقات التي أهملتها المرحلة «الميركيليّة» طويلاً، في إطار السياسات التوافقيّة ومنطق إدارة الأزمة. إلّا أن هذه المشكلات اختمرت، وسيتعيّن على المستشار الجديد التعامل معها، ليس على صعيد داخلي فقط، ولكن أيضاً في بروكسل (حيث مقرّ الاتحاد الأوروبي)، إضافة إلى إدارة التموضع الجيوبوليتيكي الكلّي للقارة، في ظلّ التحوّلات العالميّة في أدوار الولايات المتحدة والصين وروسيا وبريطانيا.

ميركل تعلم ما تقدّم تماماً، وهي في الحقيقة كانت في وارد الامتناع عن خوض الانتخابات الأخيرة (عام 2017)، ولكنّ الكثيرين من حولها اقنعوها بجاجة ألمانيا إليها، بما في ذلك ما قاله لها صديقها باراك أوباما، عن أهميّة البقاء «كحصن ضدّ دونالد ترامب والموجة الشعبوية». فـ«الديمقراطيون المسيحيون»، الذين يمثّلون حزبها اليميني المحافظ، فقدوا بشكل متدحرج تأييد الجماهير، ولم يساعدهم مُطلقاً ترشيح آرمين لاشيت للزعامة بعد ميركل - وهو شخصيّة تفتقد للكاريزما بشكل كارثي - ليصل بالكاد (إضافة إلى نتائج حليفه المسيحي الاجتماعي البافاري) إلى حدود الـ20 في المئة من تأييد الناخبين المتوقّع، وهو مستوى متدنٍّ بشكل قياسي. في المقابل، عزّز «الاشتراكيون الديمقراطيون» - يسار الوسط - تقدّماً صحّياً على رغم أنهم كانوا مستبعدين سابقاً من إمكانيّة المنافسة بجدية، وهم يترنّحون الآن في المقدّمة بحوالى 25 في المئة.

ويقود الحزب أولاف شولز، وهو شخصية هادئة خدم كوزير للمالية في الائتلاف الكبير المنتهية ولايته الذي ترأسه ميركل، كما أنه معروف أساساً بكفاءته في تقليص النفقات والإشراف على الميزانيات بدقّة متناهية، لكنّه توافق مع ميركل، إثر أزمة «كوفيد - 19»، على حزمة دعم للدول الأعضاء تعدّ الأكبر في تاريخ الاتحاد الأوروبي.

وفي ضوء هذا التقدّم غير المتوقّع - وغير الكافي للانفراد بتشكيل حكومة - يحاول «الاتحاد الديمقراطي المسيحي»، الآن، تصوير شولز على أنه اشتراكي خطير مستعدّ للمقامرة بالنجاح الاقتصادي لألمانيا عبر ضمّ دي لينكه، الحزب اليساري، إلى ائتلاف حكومي. ويبدو أن ميركل التي ادّعت بقاءها فوق صراع الخلافة، ما لبثت وحذّرت بشدّة في آخر ظهور برلماني لها، من ضمّ الحزب اليساري إلى الحكومة، وما قد يفرضه ذلك من قيود على السياسات الليبراليّة لألمانيا (وضمناً دائماً بروكسل)، سواء في الاقتصاد أو في السياسة الدوليّة. وهذا سلوك مستهجَن بالطبع، لكنه ليس غريباً على ميركل، التي حقّقت انتصاراتها الانتخابية، دائماً، من خلال التنازل الدوري عن القيم الأساسية لحزبها - تماماً كما كان يفعل توني بلير في بريطانيا عندما انتُخب من «حزب العمّال»، وخدم سياسات يمينيّة متطرّفة.

شولز، من جهته، رفض مبدأ استبعاد التفاوض مع اليسار، لأنه يريد إبقاء جميع خياراته مفتوحة، لا سيّما أن الاحتمال الأكبر يكمن في حاجة أيّ فريق إلى التحالف مع جهتَيْن على الأقلّ، للحصول على الغالبية في البرلمان. والمنطق يقول إن «الاشتراكيين الديموقراطيين» سيتعيّن عليهم الدخول في ائتلاف مع حزب «الخضر» - 16 في المئة - و«الديموقراطيين الأحرار» - 11 في المئة -، لكن سياساتهم ستُقيَّد بسبب توجّهات «الديموقراطيين الأحرار» لدعم قطاعات الأعمال، بالتعارض أحياناً مع أيّ سعي لتبنّي سياسات خضراء مثلاً، أو زيادة الأجور، فيما يبدو التحالف مع اليسار طبيعياً، لناحية نسج سياسات مشتركة في تلك القضايا، إضافة إلى سهولة التوافق على مسألة الإسكان الاجتماعي المدعوم من الحكومة. وعلى أيّ حال، فإنّ للدول الأعضاء تعدّ الأكبر في تاريخ الاتحاد الأوروبي.

وفي ضوء هذا التقدّم غير المتوقّع - وغير الكافي للانفراد بتشكيل حكومة - يحاول «الاتحاد الديمقراطي المسيحي»، الآن، تصوير شولز على أنه اشتراكي خطير مستعدّ للمقامرة بالنجاح الاقتصادي لألمانيا عبر ضمّ دي لينكه، الحزب اليساري، إلى ائتلاف حكومي. ويبدو أن ميركل التي ادّعت بقاءها فوق صراع الخلافة، ما لبثت وحذّرت بشدّة في آخر ظهور برلماني لها، من ضمّ الحزب اليساري إلى الحكومة، وما قد يفرضه ذلك من قيود على السياسات الليبراليّة لألمانيا (وضمناً دائماً بروكسل)، سواء في الاقتصاد أو في السياسة الدوليّة. وهذا سلوك مستهجَن بالطبع، لكنه ليس غريباً على ميركل، التي حقّقت انتصاراتها الانتخابية، دائماً، من خلال التنازل الدوري عن القيم الأساسية لحزبها - تماماً كما كان يفعل توني بلير في بريطانيا عندما انتُخب من «حزب العمّال»، وخدم سياسات يمينيّة متطرّفة.

شولز، من جهته، رفض مبدأ استبعاد التفاوض مع اليسار، لأنه يريد إبقاء جميع خياراته مفتوحة، لا سيّما أن الاحتمال الأكبر يكمن في حاجة أيّ فريق إلى التحالف مع جهتَيْن على الأقلّ، للحصول على الغالبية في البرلمان. والمنطق يقول إن «الاشتراكيين الديموقراطيين» سيتعيّن عليهم الدخول في ائتلاف مع حزب «الخضر» - 16 في المئة - و«الديموقراطيين الأحرار» - 11 في المئة -، لكن سياساتهم ستُقيَّد بسبب توجّهات «الديموقراطيين الأحرار» لدعم قطاعات الأعمال، بالتعارض أحياناً مع أيّ سعي لتبنّي سياسات خضراء مثلاً، أو زيادة الأجور، فيما يبدو التحالف مع اليسار طبيعياً، لناحية نسج سياسات مشتركة في تلك القضايا، إضافة إلى سهولة التوافق على مسألة الإسكان الاجتماعي المدعوم من الحكومة. وعلى أيّ حال، فإنّ للدول الأعضاء تعدّ الأكبر في تاريخ الاتحاد الأوروبي.

وفي ضوء هذا التقدّم غير المتوقّع - وغير الكافي للانفراد بتشكيل حكومة - يحاول «الاتحاد الديمقراطي المسيحي»، الآن، تصوير شولز على أنه اشتراكي خطير مستعدّ للمقامرة بالنجاح الاقتصادي لألمانيا عبر ضمّ دي لينكه، الحزب اليساري، إلى ائتلاف حكومي. ويبدو أن ميركل التي ادّعت بقاءها فوق صراع الخلافة، ما لبثت وحذّرت بشدّة في آخر ظهور برلماني لها، من ضمّ الحزب اليساري إلى الحكومة، وما قد يفرضه ذلك من قيود على السياسات الليبراليّة لألمانيا (وضمناً دائماً بروكسل)، سواء في الاقتصاد أو في السياسة الدوليّة. وهذا سلوك مستهجَن بالطبع، لكنه ليس غريباً على ميركل، التي حقّقت انتصاراتها الانتخابية، دائماً، من خلال التنازل الدوري عن القيم الأساسية لحزبها - تماماً كما كان يفعل توني بلير في بريطانيا عندما انتُخب من «حزب العمّال»، وخدم سياسات يمينيّة متطرّفة.

شولز، من جهته، رفض مبدأ استبعاد التفاوض مع اليسار، لأنه يريد إبقاء جميع خياراته مفتوحة، لا سيّما أن الاحتمال الأكبر يكمن في حاجة أيّ فريق إلى التحالف مع جهتَيْن على الأقلّ، للحصول على الغالبية في البرلمان. والمنطق يقول إن «الاشتراكيين الديموقراطيين» سيتعيّن عليهم الدخول في ائتلاف مع حزب «الخضر» - 16 في المئة - و«الديموقراطيين الأحرار» - 11 في المئة -، لكن سياساتهم ستُقيَّد بسبب توجّهات «الديموقراطيين الأحرار» لدعم قطاعات الأعمال، بالتعارض أحياناً مع أيّ سعي لتبنّي سياسات خضراء مثلاً، أو زيادة الأجور، فيما يبدو التحالف مع اليسار طبيعياً، لناحية نسج سياسات مشتركة في تلك القضايا، إضافة إلى سهولة التوافق على مسألة الإسكان الاجتماعي المدعوم من الحكومة. وعلى أيّ حال، فإنّ للدول الأعضاء تعدّ الأكبر في تاريخ الاتحاد الأوروبي.

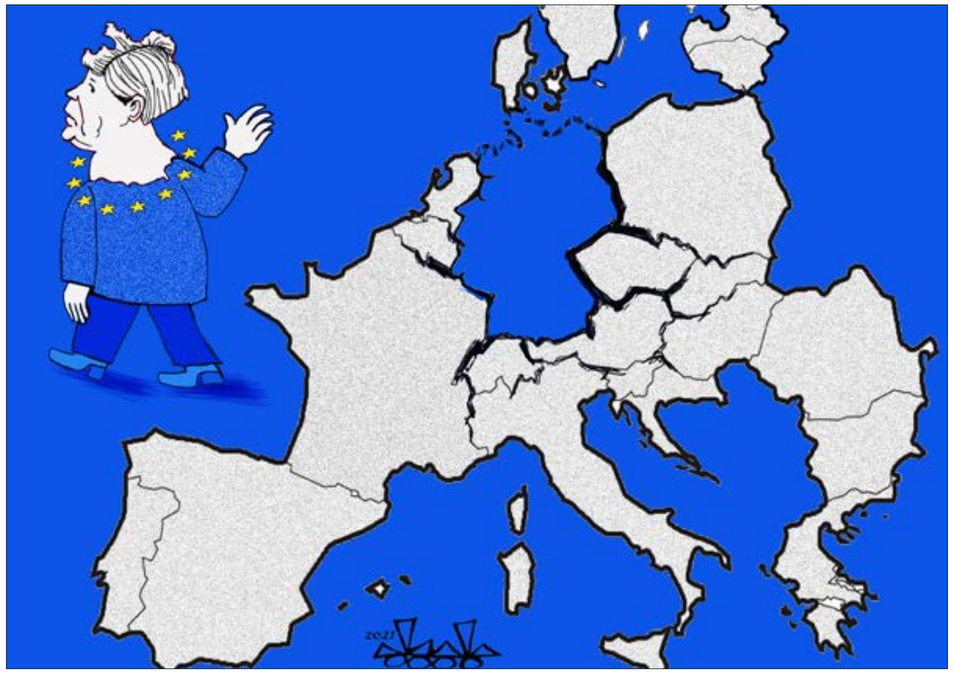

رسم: حسن بليبل

وفي ضوء هذا التقدّم غير المتوقّع - وغير الكافي للانفراد بتشكيل حكومة - يحاول «الاتحاد الديمقراطي المسيحي»، الآن، تصوير شولز على أنه اشتراكي خطير مستعدّ للمقامرة بالنجاح الاقتصادي لألمانيا عبر ضمّ دي لينكه، الحزب اليساري، إلى ائتلاف حكومي. ويبدو أن ميركل التي ادّعت بقاءها فوق صراع الخلافة، ما لبثت وحذّرت بشدّة في آخر ظهور برلماني لها، من ضمّ الحزب اليساري إلى الحكومة، وما قد يفرضه ذلك من قيود على السياسات الليبراليّة لألمانيا (وضمناً دائماً بروكسل)، سواء في الاقتصاد أو في السياسة الدوليّة. وهذا سلوك مستهجَن بالطبع، لكنه ليس غريباً على ميركل، التي حقّقت انتصاراتها الانتخابية، دائماً، من خلال التنازل الدوري عن القيم الأساسية لحزبها - تماماً كما كان يفعل توني بلير في بريطانيا عندما انتُخب من «حزب العمّال»، وخدم سياسات يمينيّة متطرّفة.

شولز، من جهته، رفض مبدأ استبعاد التفاوض مع اليسار، لأنه يريد إبقاء جميع خياراته مفتوحة، لا سيّما أن الاحتمال الأكبر يكمن في حاجة أيّ فريق إلى التحالف مع جهتَيْن على الأقلّ، للحصول على الغالبية في البرلمان. والمنطق يقول إن «الاشتراكيين الديموقراطيين» سيتعيّن عليهم الدخول في ائتلاف مع حزب «الخضر» - 16 في المئة - و«الديموقراطيين الأحرار» - 11 في المئة -، لكن سياساتهم ستُقيَّد بسبب توجّهات «الديموقراطيين الأحرار» لدعم قطاعات الأعمال، بالتعارض أحياناً مع أيّ سعي لتبنّي سياسات خضراء مثلاً، أو زيادة الأجور، فيما يبدو التحالف مع اليسار طبيعياً، لناحية نسج سياسات مشتركة في تلك القضايا، إضافة إلى سهولة التوافق على مسألة الإسكان الاجتماعي المدعوم من الحكومة. وعلى أيّ حال، فإنّ للدول الأعضاء تعدّ الأكبر في تاريخ الاتحاد الأوروبي.

> عزّز «الاشتراكيون الديموقراطيون» تقدّماً صحّياً على رغم أنهم كانوا مستبعدين من المنافسة

أكثر منها نحو تبنّي أيّ تغييرات، استعداداً للتعامل مع الإهمال المتراكم من قِبَل ميركل في التعامل مع الملفّات الاستراتيجية. إضافة إلى ما تقدّم، يبرز تاريخه الشخصي، الذي يشمل دوره كعمدة لمدينة هامبورغ عندما سيطرت عليها أعمال الشغب الفوضوية، أثناء قمّة «مجموعة العشرين»، وفشله في الكشف عن تجاوزات واحتيال في ما صار يُعرف بـ«فضيحة وايركارد»، قبل أن يضطرّ للتدخّل بعدما نشرت تفاصيلها جريدة «فايننشال تايمز» اللندنية.

من الناحية الأخرى، يطلق حزب «الخضر» النار على الحزبَين المتقدّمَين معاً. واتهمت أنالينا باربوك، مرشحته لمنصب المستشاريّة، كلا الطرفين بالفشل في ما يتعلّق بسياسات تغيّر المناخ. إلّا أن هذه الأخيرة تفقد تأييد الناخبين، بشكل مطّرد، وقد تراجعت بنسبة 50 في المئة عن ذروة التأييد لها في أيار الماضي، إلى أجواء الـ15 في المئة من مجموع الناخبين، لأنّ غالبيّتهم باتت على قناعة بأن الانتقادات ضدّ الحزبَين الآخرَين ستختفي لحظة بدء المشاورات لتشكيل ائتلاف حكومي.

وقد كان من اللافت في هذه الأجواء الانتخابيّة الكئيبة، أنّ لا أحد يطرح للنقاش مسائل تتعلّق بالسياسة الخارجية للدولة الألمانية، سواء في ما يتعلّق بتوجّهات الاتحاد الأوروبيّ مستقبلاً، أو شكل العلاقة مع المارد الصيني الصاعد، أو طبيعة التعامل مع روسيا - بوتين، بعد تفعيل المشروع الضخم لنقل الغاز، أو حتى إدارة علاقة التبعيّة بالولايات المتحدة، في وقت يتراجع اهتمام واشنطن بتفاصيل الشأن الأوروبي عموماً. ويأتي ذلك بينما تشتدّ الحاجة إلى لعب ألمانيا دوراً إقليمياً قيادياً، عشيّة انسحاب بريطانيا من عضوية الاتحاد والمشكلات الاقتصاديّة العديدة التي تعاني منها دول جنوب أوروبا، فيما يضغط الأميركيّون باتجاه تقييد التبادلات مع كلّ من الصين وروسيا وإيران، وقبول أعداد إضافية من اللاجئين من أفغانستان.

الألمان المتشائمون بطبعهم، يَذكرون مع ذلك كيف أن ميركل نفسها كانت عالمة كيمياء مغمورة من ألمانيا الديمقراطيّة السابقة، في عام 1989، واستبعد كثيرون إمكان وصولها إلى السلطة في 2005، ويبنون على تلك المفارقة آمالاً بمعجزة تنقذهم مرّة أخرى من الفوضى. أمّا شاغلة المنصب، فستذهب في التاريخ كأوّل مستشار(ة) في ألمانيا بعد الحرب تغادر في وقت تختاره بنفسها، محتفظة بنسبة تأييد عالية باستمرار، طوال فترة حكمها. وبما أن المفاوضات لتشكيل حكومة جديدة قد تستمرّ لعدة أشهر بعد الانتخابات، فإنّ ميركل ستصرّف الأعمال، وإن بقيت حتى 17 كانون الأول، فإنها ستكون قد تفوّقت على هيلموت كول، وأصبحت المستشار الأطول خدمة في العصر الحديث.

أنجيلا ميركل... الصورة (لا) تتكلّم

خلال السنوات الأخيرة وفي أحلك أيام رئاسة دونالد ترامب بدت أنجيلا ميركل كأخر شخص بالغ على الساحة السياسية الغربية (أ ف ب)

نادين شلق

غداً، لن تغادر أنجيلا ميركل مقرّ المستشارية الألمانية (Bundeskanzleramt)، ولن تبتعد عن الأضواء، كما أنها لن تتخلّى عن حرسها والمسؤولين عن أمنها. هي، ستعود كما في كلّ يوم من السنوات الـ16 التي قضتها في السلطة، إلى شقّتها القديمة الكائنة في مدينة برلين، حيث اختارت البقاء مع زوجها بدلاً من المقرّ الرسمي، بوجود أمن مرئي وحيد هو ضابط شرطة أمام المبنى. المستشارة الألمانية ستنسحب من الحياة العامّة، تاركة الساحة لخليفتها، من دون ضجّة أو إعلام، مثلما كانت خلال فترة إدارتها للذراع التنفيذية في إحدى أبرز الدول الأوروبية. مردّ ذلك ليس في كونها لا تحبّ الأضواء فقط، إنّما في أنها - شأنها شأن العديد من السياسيين الألمان - تفتقر إلى الجاذبية وموهبة الثرثرة، وتفضّل التصريحات السريعة والرصينة على الخطب الطويلة. ولسنوات، ظلّ التحدّث أمام الجمهور مربكاً بشكل واضح بالنسبة إليها، فيما كانت يداها مصدراً خاصاً لهذا الإحراج، قبل أن تتعلّم في النهاية أن تجمع أطراف أصابعها معاً على شكل مثلث فوق بطنها، في مشهد سيتذكّره كلّ من رأى صورة لها

وحيدة، أو مع غيرها من قادة الدول. من بين القادة الألمان، تُمثّل ميركل شذوذاً ثلاثياً: امرأة (مطلّقة، متزوّجة من جديد، ليس لديها أطفال)، عالمة (كيميائية الكمّ)، وأوسي (أي من ألمانيا الشرقية). هذه الصفات، على الرغم من أنها جعلت منها دخيلة على عالم السياسة الألمانية، ساعدت أيضاً في دفع صعودها الاستثنائي الذي يُنسب أيضاً وجْه شذوذ رابع على حزبها (الاتحاد الديمقراطي المسيحي) الكاثوليكي في ألمانيا الغربية، بينما هي امرأة بروتستانتية من ألمانيا الشرقية الشيوعية. بعد فوزها في انتخابات متقاربة وحصولها على أغلبية في الداخل أو على مستوى الاتحاد الأوروبي أو حتّى على مستوى العالم على الصعيد المحلّي، برز عدد قليل من إنجازاتها، بما في ذلك إدخالها، في عام 2009، كبح الدين عبر الدستور، الأمر الذي يضمن ميزانيات متوازنة؛ وقرارها، عام 2011، التخلّص التدريجي من الطاقة النووية، بعد كارثة فوكوشيما اليابانية؛ ثمّ قرارها، عام 2015، تجاوز قواعد الاتحاد الأوروبي بشأن طالبي اللجوء، وفتح حدود ألمانيا لأكثر من مليون لاجئ من سوريا وأماكن أخرى. على المستوى السياسي، أمضت ميركل الكثير من فترة ولايتها في الحكم ضمن ائتلافات كبيرة، لا سيما مع «الحزب الاشتراكي الديمقراطي» المعارض (SPD) من يسار الوسط. ومن خلال استمالة مباشرة للعديد من الأفكار الشعبية التي طرحها هذا الحزب - بما في ذلك الحدّ الأدنى للأجور وروسيا وبريطانيا.

جورج بوش الابن وتوني بلير وجاك شيراك وسيلفيو برلسكوني - قلقين في شأن اليوم التالي، بينما يذهب كثيرون إلى أن شيئاً لن يتغيّر، لتبقى أسئلة كثيرة معلّقة من بينها: أيّ إرث تترك ميركل؟ وهل تستحقّ أن تُدعى مستشارة عظيمة فعلاً؟ من سيقوم مقامها في قيادة الاتحاد الأوروبي؟ وهل ستتألّق ألمانيا بعد اعتزالها؟

الواقع أن العديد من النقاط التي تُسجَّل لصالح ميركل، يمكن أن تُحسب ضدّها أيضاً. فهي شخصية لم تترك وراءها إرثاً واضحاً، كما أنها لم تملك رؤية يمكن البناء عليها لمواصلة مسيرة ما، سواءً في الداخل أو على مستوى الاتحاد الأوروبي أو حتّى على مستوى العالم. على الصعيد المحلّي، برز عدد قليل من إنجازاتها، بما في ذلك إدخالها، في عام 2009، كبح الدين عبر الدستور، الأمر الذي يضمن ميزانيات متوازنة؛ وقرارها، عام 2011، التخلّص التدريجي من الطاقة النووية، بعد كارثة فوكوشيما اليابانية؛ ثمّ قرارها، عام 2015، تجاوز قواعد الاتحاد الأوروبي بشأن طالبي اللجوء، وفتح حدود ألمانيا لأكثر من مليون لاجئ من سوريا وأماكن أخرى. على المستوى السياسي، أمضت ميركل الكثير من فترة ولايتها في الحكم ضمن ائتلافات كبيرة، لا سيما مع «الحزب الاشتراكي الديمقراطي» المعارض (SPD) من يسار الوسط. ومن خلال استمالة مباشرة للعديد من الأفكار الشعبية التي طرحها هذا الحزب - بما في ذلك الحدّ الأدنى للأجور ومعاشات التقاعد الأكثر سخاء - احتلّت ميركل بذكاء مركز السياسة الألمانية، ما جعلها قوة انتخابية مهمّة. أسلوبها التوافقي، وطريقتها في تبنّي مقترحات خصومها، سمحا لمرشّح «الحزب الديمقراطي الاشتراكي» لمنصب المستشار ووزير المالية الحالي، أولاف شولتز، بالادّعاء أنه بدلاً من أن ترمين لاشيت من حزب «الاتحاد الديمقراطي المسيحي»، هو الوريث الحقيقي لميركل؛ وعلى مستوى الاتحاد الأوروبي، عُرف عنها إصرارها على سياسة التقشّف والإصلاح الهيكلي، أثناء أزمة ديون منطقة «اليورو»، والتصميم على استكمال خطّ أنابيب الغاز الطبيعي المثير للجدل «نورد ستريم 2» مع روسيا، وقبولها أخيراً بديون الاتحاد الأوروبي المشتركة، ضمن معالجة التداعيات الاقتصادية لجائحة «كوفيد - 19». أمّا على المستوى الدولي، فصحيح أن ميركل، بالمقارنة مع القادة الشعبويين الأقوياء، مثل الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، أو الرئيس البرازيلي جايير بولسونارو، أو رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون، بدت وكأنها مثال للقيادة العقلانية والثابتة، ولكنها طالما كانت ميّالة إلى إعطاء الأولوية المنهجية للمصالح التجارية والجغرافية الاقتصادية الألمانية، على «قيَم الديمقراطية وحقوق الإنسان والتضامن داخل الاتحاد الأوروبي»، بل إن البعض يرى أنها على الرغم من إظهارها اهتمامها بتلك القيم، إلّا أنها لم تفعل شيئاً ثميناً للدفاع عنها أثناء وجودها في المنصب. وفي ظلّ حكم خليفتها، من المرجّح أن تستمرّ ألمانيا في الجمع بين الحديث المتعقّل، والرغبة في الدخول في صفقات مع «المستبدّين». إلى أن المجر «لم تعد دولة حرّة، كما قام زعماء اليمين المتطرف الآخرون بمحاكاة نموذج أوربان». ونتيجة لذلك، «يستطيع المستبدّون حماية بعضهم البعض، من خلال استخدام حقّ النقض ضدّ أيّ عقوبات قد تسعى بروكسل إلى فرضها عليهم». لذا، «لم يعد الاتحاد الأوروبي نادياً للديمقراطيات». أمّا التحدّي الثالث، فظهر عندما دفعت الحرب في سوريا ملايين الأشخاص إلى البحث عن ملاذ في أوروبا؛ إذ إن رفض ميركل ابتداءً إغلاق الحدود الألمانية أمام هؤلاء أثار إعجاباً بها في جميع أنحاء العالم، لكنها في الواقع لم تكن المدافعة المبدئية عن حقّ اللجوء، وفق ما أظهرها احتفاء وسائل الإعلام بها. وعلى الرغم من أنها استمرّت في رفض القول إنها ستوقف في النهاية موجة اللاجئين - وهو إحجام ساهم بشكل كبير في صعود البديل اليميني المتطرّف - فقد فعلت في الواقع ما في وسعها لإبقائهم خارج بلادها. وهنا، يشير مونك إلى أنه «بفضل سلسلة من الصفقات مع الحكّام المستبدّين، مثل رجب طيب أردوغان في تركيا، استعانت ألمانيا بمصادر خارجية للعمل القذر المتمثّل في جعل حدودها غير قابلة للاختراق». لذلك، على الرغم من استمرار قبولها رسمياً للاجئين، فإن الغالبية منهم يجدون الآن أنه من المستحيل الوصول إلى ألمانيا.

> قياساً بكلماتها كانت ميركل قائدة رائعة ولكن بناءً على افعالها فإنّ سجلها غير متكافئ

ميركل مثلاً) على تلك البلدان خطّة إنقاذ سخية، أو بدلاً من ذلك، يدفعها إلى الخروج من منطقة العملة الموحّدة تماماً، لكن ميركل انتهجت خطّاً ثالثاً ترك آثاراً بالغة السلبية على العديد من الدول الأوروبية، لا تزال ماثلة إلى الآن. الثاني، برز مع صعود «الشعبويين الاستبداديين» في أجزاء كبيرة من أوروبا الوسطى، وتحديداً فيكتور أوربان، الذي أصبح رئيساً لحكومة المجر. آنذاك، كان بإمكان الاتحاد الأوروبي فرض عقوبات على المجر لوقف انزلاق البلاد نحو «الاستبداد»، إلا أن ميركل عارضت الخطوات الهادفة

تحليل إخباري

التحوّلات اليمنية في الميزان الإقليمي
«أنصار الله» تستثمر التراجع الأميركي

ليست التطوّرات الميدانية الأخيرة في اليمن منزوعة من السياقين الإقليمي والدولي اللذين يبدوان قوات صنعاء اتقنت استثمارهما في الدفع نحو تحوّلات دراماتيكية في الخارطة الميدانية. لم تكن تنتظر إلّا اللحظة المناسبة على اعتبار أن الجاهزية العسكرية لها ظلّت متوافرة دائماً. وإذ يظهر أن من شأن تلك التطوّرات تأمين مكتسبات استراتيجية مستقبلية فائقة الأهمية للجيش اليمني و«اللجان الشعبية»، فهي ستُضيّق في المقابل الخيارات أمام كلّ من واشنطن والرياض، خصوصاً أن أهداف كليهما من هذه الحرب قد تحوّرت بعد أكثر من ستة أعوام على بدئها

أكثر ما يقلق واشنطن والرياض هو استمرار العمليات العسكرية لقوات صنعاء (أ ف ب)

لقمان عبد الله

على وقع المتغيّرات الميدانية المتسارعة في اليمن والتي تمثّلت في تمكّن قوات صنعاء ـ في وقت قياسي ـ من تحرير أربع مديريات في محافظة شبوة ومديريتَين جديدتَين في محافظة مأرب، والاقتراب من حقول صافر النفطية، ساد جوّ من التشاؤم الأوساط اليمنية الموالية للتحالف السعودي ـ الإماراتي بعدما اتّضح لها أن خياراتها أضحت محدودة، فيما بدأ الكثير من القبائل والشخصيات السياسية والاجتماعية والعسكرية فتح قنوات اتصال مع صنعاء من أجل العودة إليها. ويأتي ذلك بينما فشلت الجولات المكوكية للمبعوثَين الأممي هانس غروندبرغ، والأميركي تيموثي ليندركينغ، بين العاصمتَين السعودية والعُمانية، إلى الآن في إحراز أيّ نتيجة، وهو ما قد يضع التحالف أمام خيار وحيد متمثّل في الاستجابة لمطلب رفع الحصار الجوّي والبحري والبرّي، في المنطقة، بدءاً من وصول إدارة جديدة أكثر حزماً إلى سدّة الحُكم في إيران، مروراً بانسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان، وليس انتهاءً بالتراجع الأميركي في سوريا ولبنان، للدفع نحو تبدّلات دراماتيكية في خارطة القتال، بينما فشل أصحاب القرار السعوديون، ومن خلفهم القادة الأميركيون، في تقدير انعكاسات تلك التحوّلات على الساحة اليمنية. وعلى رغم أن «أنصار الله» حاولت سلوك طريق السلم، عبر مبادرة مأرب التي قُدّمت إلى الوفد العماني الذي زار صنعاء منذ أشهر (لم تُعَد المبادرة صالحة حالياً، إلّا في البنود المتّصلة بالقبائل)، لم يلتقط كلّ من الرياض وواشنطن الفرصة، وراهنتا على فشل الهجوم اليمني على مأرب، وهو ما ظهر أكثر من مرّة (آخر تصريح في 16 أيلول الجاري) على لسان ليندركينغ الذي استبعد «انتصار الحوثيين»، معتبراً أنهم وصلوا إلى «طريق مسدود». كذلك، لم يأخذ الجانبان السعودي والأميركي على محمل الجدّ تحوّل الخطاب السياسي في صنعاء نحو رسم ملامح مرحلة ما بعد استعادة مأرب، مثلما جاء على لسان قائد حركة «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، في بداية الشهر الحالي، حيث أكد «أننا سنحرّر كلّ بلدنا، ونستعيد كلّ المناطق التي احتلّها تحالف العدوان».

أعطت المكتسبات الميدانية الأخيرة قوات صنعاء أفضلية مستقبلية للوصول إلى شواطئ بحر العرب

يُضاف إلى ما تقدّم، أن تراجع العلاقات السعودية - الأميركية منذ بداية عهد جو بايدن، ترك انعكاساته على الشراكة بين الجانبين في الحرب على اليمن، على رغم استمرار انخراط واشنطن فيها. إذ يلحظ مراقبون، من خلال الأداء الأميركي في المفاوضات، أن الولايات المتحدة تعمل على إطالة الحرب، وأن هناك تغيّراً في أهداف مشاركتها فيها، بعدما قرّرت تصعيد مستوى مواجهتها مع الصين، وحشد قواها العسكرية في المحيطَين الهادئ والهندي المتّصل ببحر العرب، والذي يُعتبر أحد الممرّات الحيوية للصين في إطار مبادرة «الحزام والطريق» إلى المتوسّط وأوروبا. أمّا السعودية، فقد تراجعت، هي الأخرى، عن هدف إدامة الوصاية على اليمن، وبات طموحها مقصوراً على حماية حدودها الجنوبية وتحصين أمنها القومي. لكن التراجع السعودي لم يمنع الزجّ من «الحليف» الأميركي، والذي تمثّل أبرز تجلياته في العاشر من الشهر الجاري، حينما أجّلت السعودية زيارة وزير الدفاع الأميركي، لويد أوستن، إلى الرياض، في ما فُسّر على أنه احتجاج على سحب منظومات الدفاع الجوي (باتريوت، ثاد) الأميركية من قاعدة الأمير سلطان الجوية، وأيضاً على خلوّ جدول أعمال الوزير الأميركي من بند مناقشة الملف اليمني، وهذا ما تحدّث عنه أوستن نفسه بالقول: «قمنا بترتيب هذه الرحلة في وقت قصير جداً. السعوديون لديهم بعض المشاكل المتعلّقة بالجدولة، وكما تعلمون، لا يمكنني التحدّث عن ذلك»، علماً أن الزيارة اقتصرت على بند واحد هو ترتيب الأوضاع في أفغانستان، والذي استُبعدت السعودية من المناقشات الجارية في شأنه.

ولم تكن الحرب على اليمن منذ فترة المداولات الأولى بشأنها، ومن ثمّ اتخاذ القرار ببدئها والإعلان عنها من واشنطن، مروراً بكلّ مجرياتها، منفصلة عن السياقَين الإقليمي والدولي. ولعلّ هذا ما يتّضح في حديث سابق لمسؤول الملفّ الإيراني في الإدارة الأميركية الحالية، روبرت مالي، الذي كشف أن «السعودية كانت ستتصرّف بشكل وشيك مع الولايات المتحدة أو من دونها، لكنها فضّلت المضيّ قُدُماً بمساعدة أميركية، وفي النهاية، أوصى فريق الأمن القومي التابع للرئيس باراك أوباما بالمضيّ قدماً في قدر من المساعدة للحملة السعودية»، تمثّل في إنشاء خلية تخطيط مشتركة في الرياض من شأنها «تنسيق الدعم العسكري واللوجستي والاستخباراتي»، وفق ما أعلن البيت الأبيض نفسه. وعلى امتداد عمر الحرب، شهدت المنطقة تحوّلات مهمّة كان لها أثرها العميق في اليمن، سواءً لناحية العلاقات بين الدول المشاركة في العدوان، أو تبدّل تحالفات القوى المحلية وأدوارها، أو إعادة تشكيل التموضعات العسكرية.

تقرير

«قسد» - «النصرة»: مَن حضَر السوق... نسِي العداء!

يبدو تنظيما «قسد» و«النصرة» متخاصمين في كلّ شيء إلّا في التجارة البينية التي تشهد ازدهاراً صريحاً بمباشرة من قِبَل الجانب التركي، بما يضمن للأوّل تدفّقاً مالياً مستمرّاً على خزائنه. ويؤمّن للآخر ما يلزمه من محروقات لتحريك آلياته بشكل دائم، وبأسعار «تشجيعية»

دمشق - محمود عبد اللطيف

لا تمنع حالة العداء بين «قوات سورية الديمقراطية»، والفصائل المسلّحة الموالية لتركيا، ازدهار عملية تبادل تجاري بينهما، تشمل النفط الخام والمشتقّات المكرّرة وحتى البشر، الذين يُهرَّب الواحد منهم بـ200 دولار أميركي، عبر معبرَي العون وأم جلود. تمرّ القوافل الخارجة من حقول الشرق السوري نحو مناطق تسيطر عليها الفصائل، ابتداءً ممّا يسمّى «أسواق المازوت» القائمة في قرى جنوب مدينة جرابلس، حيث تُنقل المواد النفطية إلى مدينة عفرين، ومنها إلى أسواق محافظة إدلب، التي تسيطر عليها «جبهة النصرة»، المتحكّمة بالعمليات التجارية كاملة في مناطق سيطرتها. ولم تتوقّف تلك الحركة عبر المعبرَين المذكورَين إلّا في ثلاث مناسبات: الأولى في شهر شباط من عام 2018 بسبب الهجوم التركي على مدينة عفرين، في عملية أطلق عليها مسمّى «غصن الزيتون»، والثانية خلال العملية التركية الثانية ضدّ «قسد» والتي حملت اسم «نبع السلام» في تشرين الأول من عام 2019، والمرّة الثالثة كانت جزئية بسبب انتشار جائحة «كورونا» في المناطق الخاضعة لسيطرة كلّ من الطرفين (قسد - تركيا).

وتمثّل المشتقات النفطية والمواد الزراعية (قمح - شعير) أكثر المواد عبوراً من الشرق السوري نحو جرابلس، في حين تُنقل الأجهزة الإلكترونية والمواد الغذائية المعلّبة من التصنيع التركي إلى مناطق محافظة الرقة. وليست ثمّة إحصائية دقيقة لحجم التبادل التجاري من خلال المعبرَين اللذَين يُعدّان من أهمّ شرايين التمويل بالنسبة إلى «قسد»، بينما تُعتبر «النصرة» أحد أبرز زبائن النفط ومشتقّاته المنقولة من الشرق السوري، إذ يعتمد تنظيم أبو محمد الجولاني على شركة «وتد» المرخّصة في الأراضي التركية على أنها شركة سورية تعمل على استيراد النفط الأوكراني إلى شمال غرب سوريا، فيما غالبية البضائع التي تحصل عليها هذه الشركة هي من المحروقات المكرَّرة بشكل بدائي أو غير آمن من خلال حراقات كهربائية تنتشر بالقرب من مدينة سرمدا، التي تحوّلت إلى «عاصمة» للنشاط التجاري لـ«النصرة».

وبينما تشهد مناطق سيطرة «قسد» أزمة في تأمين المحروقات، في ما يُعدّه السكّان المحلّيون متعمّداً لإجبارهم على قبول رفع الأسعار الذي كانت قد تراجعت عنه «الإدارة الذاتية» بفعل التظاهرات التي خرجت في مناطق متفرقة من محافظة الحسكة قبل شهرين من الآن، تُتابع القوافل النفطية اجتياز المعابر نحو «أسواق المازوت» بسعر لا يزيد عن 400 ليرة سورية لليتر الواحد من المازوت، ونحو 600 ليرة لليتر البنزين. وتُباع هذه المواد في أسواق محافظة إدلب بالليرة التركية التي يصل سعر صرفها إلى 394 ليرة سورية. وبحسب نشرة الأسعار التي نشرتها «وتد» في الـ20 من الشهر الحالي، فقد كان سعر المازوت 4,4 ليرات تركية، أي ما يعادل 1733 ليرة سورية لليتر الواحد، فيما يصل سعر ليتر البنزين إلى 6,85 ليرات تركية لليتر الواحد (2690 ليرة سورية)، وهذا ما يحقّق ربحاً للشركة يصل إلى أربعة أضعاف رأس المال.

تعتمد «النصرة» على شركة «وتد» المرخّصة في الأراضي التركية على أنها شركة سورية تعمل على استيراد النفط الأوكراني (الأناضول)

ويُعدّ تعامل كلّ من الحكومة التركية و«قوات سورية الديمقراطية» مع شركة «وتد» العاملة لصالح «جبهة النصرة» في ريف إدلب، خرقاً لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 2219 الصادر في شباط من عام 2015 والخاص بـ«تجفيف منابع الإرهاب». وإن كانت «قسد» لا تعدّ جهة يمكن محاسبتها وفقاً للقوانين الدولية، فالحكومة التركية ملزَمة بتطبيق قرارات مجلس الأمن كونها دولة عضواً في الأمم المتحدة أولاً، ومنخرطة ـ ظاهرياً ـ في عملية محاربة الإرهاب في سوريا، على رغم أن الواقع يثبت العكس. ولا تعترف «قسد» بأن ما تنقله من بضائع إلى المناطق الخاضعة لسيطرة القوات التركية يصل إلى أسواق «النصرة»، فيما يقوم الخطاب الإعلامي المتبادل بين الطرفين على الكراهية المعلَنة، من دون أيّ تلميح من قبلهما إلى وجود تعاون تجاري عميق، يحافظ على بقاء «النصرة» قادرة على تأمين ما يلزمها من محروقات لتحريك آلياتها، ويضمن تدفّقاً مالياً مستمرّاً لخزائن «قسد».

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597

وفيات

ذكرى

ذكرى اربعين

هو القيامة والحياة ونحن آمنّا ونشهد
لمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة

عليا الياس القزّي

أرملة سليم خليل العلّيه، نصلّي قداس وجناز الأربعين في كنيسة مار مارون الدبيّة وذلك يوم الأحد الواقع فيه 26 أيلول الساعة 11 قبل الظهر.
صلّوا معنا

انتقل إلى رحمته تعالى المرحوم
حسني حسن عون

أولاده: حسن، حسين، محمد، علي وأحمد
صهره: محمد معتوق
إخوته: حسيب عون، المرحوم علي، محمد، ومصطفى قبيسي.
وورّي الثرى امس الجمعة الواقع في 24 أيلول في بلدته زبدين، وسيقام مجلس فاتحة عن روحه غداً الأحد الساعة الخامسة في حسينية البلدة.

إعلانات رسمية

اعلان

تجري مصلحة الأبحاث العلمية الزراعية مناقصتين عامتين وبواسطة الظرف المختوم حسب التواريخ والمواعيد المحددة تجاه اسم كل منهما وذلك في محطة تل العمارة الزراعية ـ رياق ـ البقاع:
اسم المناقصة التاريخ الموعد
1. تلزيم تصليح جهاز قياس الطاقة لزوم مختبر الأعلاف في محطة تل العمارة 2021/10/13 الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء.
2. تلزيم تقديم وتركيب قطع غيار لجهاز LCMSMS ماركة AGILENT لزوم مختبر الترسبات الكيميائية والمضادات الحيوية في محطة الفنار 2021/10/13 الساعة الثانية عشرة ظهراً يوم الأربعاء.
فعلى من يهمه الأمر الحصول على دفتر الشروط الخاص المودع نسخاً عنه في محطة تل العمارة ـ رياق ـ البقاع لدى قسم المناقصات وفي محطة الفنار ـ جديدة المتن لدى السيد غي قارط ضمن أوقات الدوام الرسمي علماً بأن ثمن كل نسخة عن دفتر الشروط هو خمسون ألف ليرة لبنانية.
ترسل العروض مباشرة بالبد إلى إدارة مصلحة الأبحاث العلمية في محطة تل العمارة ـ رياق ـ البقاع خلال الدوام الرسمي على أن تصل العروض قبل الساعة الثالثة عشرة من آخر يوم عمل يسبق تاريخ اجراء هذه المناقصة وتهمل العروض التي تصل بعد هذا الموعد.
تل العمارة في 9 2021 SEP
رئيس مجلس الإدارة – المدير العام
ميشال انطوان افرام

لإعلاناتكم المبوبة في الأخبار
71-513571
01-759500
كل 4 اسطر
100.000
ليرة لبنانية
كل سطر إضافي
20.000
ليرة لبنانية

استراحة

كلمات متقاطعة 3844

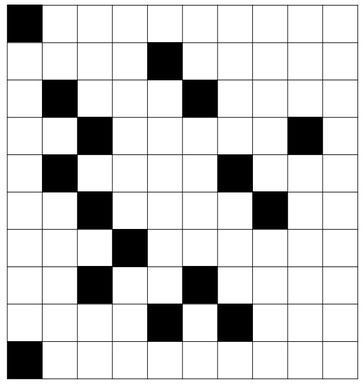

أفقيا

1- دولة أفريقية – 2- راقصة لبنانية – واحات في مصر قرب حدود ليبيا – 3- ننحني بتعبّد – أرض طيّبة يُزرع فيها – 4- كتاب مقدس – خلاف خير – 5- من الخضر – حذاء قديم – 6- حرف جر – نهر فرنسي – دقّ وكسر – 7- من بطلات الأساطير اليونانية – إمارة عربية – 8- الإسم الأول لراقصة لبنانية راحلة – عاصفة بحرية – والدة – 9- أوقع أحدهم في مشكلة – واحة في تشاد – 10- إعلامي ومقدّم برامج لبناني راحل

عمودياً

1- عاصمة السلفادور – 2- قبل اليوم – ماركة سيارات – 3- ضرورات ورغبات – بلدة لبنانية بقضاء راشيا – 4- عاصمة أوروبية – شهر أيار بالأجنبية – 5- للتفسير – لؤلؤ – نثر الماء – 6- معركة وقعت في تونس أنزلت فيها قبائل بني هلال وبني سليم هزيمة نكراء بقبائل صنهاجة عام 1052 – 7- مدينة فلسطينية قديمة – وكالة أنباء عربية – 8- نوع من الغزلان – مقياس مساحة – 9- فضاء – تحصيل الأموال – 10- مدينة يابانية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- صفاقس – يراع – 2- فرنكفورت – 3- رياق – إلا – 4- الموتوسيكل – 5- يروا – أم – 6- أنا – رسبت – 7- لو – دكان – صل – 8- عراك – جحا – 9- قد – هنيدي – 10- بورما – سبتة

عمودياً

1- صحراء النقب – 2- يل – نو – دو – 3- أفاميا – 4- قرقور – درهم – 5- سن – توركانا – 6- كاواساكي – 7- نُفلس – بن – دس – 8- روايات – جيّب – 9- أر – كم – صح – 10- عتّال – صلاة

sudoku 3844

		6				2	9	
3						4	1	
		1	2	8	7			
2	8	4		1				
			7		3			
				9		6	2	5
			6	4	8	7		
	9	5						4
	6	7	1			3		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 3842

6	7	4	5	2	3	1	8	9
2	1	8	4	9	6	3	7	5
3	5	9	1	8	7	4	2	6
1	8	3	7	6	4	5	9	2
9	6	2	8	5	1	7	3	4
7	4	5	9	3	2	6	1	8
8	3	1	2	4	5	9	6	7
5	2	7	6	1	9	8	4	3
4	9	6	3	7	8	2	5	1

مشاهير 3844

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ملك أفغانستاني (1892-1960) تنازل عن العرش بضغط من بريطانيا وعاش في منفاه في سويسرا
5+6+1+2+3+4 = الطمأنينة والسلام ■ 9+10+7 = أخو الأم ■ 11+8 = ضمير منفصل

حل الشبكة الماضية: خوسيه موخيكا

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 25 أيلول 2021 العدد 4447

صورة وخبر

منذ عام 1958 وبركة أنان (قضاء جزين)، معلم حيوي لتوليد الطاقة الكهرمائية بسعة 35 مليون متر مكعب من المياه. كانت تستهوي عابري طريق صيدا ــ جزين لالتقاط الصور التذكارية، عندما كانت بقعة مائية صافية تعكس زرقة السماء وسط غابة من الصنوبر. منذ سنوات، غزتها المياه الملوّثة بالمخلّفات الصناعية والكيماوية والصرف الصحي الوافدة من بحيرة القرعون، لتستحيل سجادة آسنة تستوطنها البكتيريا و«عدّس الماء» الأخضر وطبقات من الأعشاب المائية، مهددة التنوّع البيولوجي في المحيط وآلاف الضفادع والحشرات. (علي حشيشو)

مشروع جبور الدويهي في «المنتدى الثقافي»

يدعو «صالون المنتدى الثقافي» و«ندوة الثقافة والعلوم»، يوم الثلاثاء المقبل، إلى المشاركة في الجلسة النقاشية الافتراضية التي تتناول تفاصيل المشروع الروائي للأديب اللبناني الراحل جبور الدويهي (1949 ـ 2021/ الصورة) عبر تسليط الضوء على تفاصيل «الشخصي والعام في حياته وأدبه»، من خلال أحداث وأبطال كتابه «حي الأمريكان». يشارك في اللقاء كلّ من: الصحافي والشاعر سيد محمود، الكاتبة سوسن الأبطح، الناشرة رشا الأميركي، الأكاديمية ماريا الدويهي، الكاتب والناقد إيهاب الملاح وهند درويش.

الثلاثاء 28 أيلول (سبتمبر) الحالي ـ الساعة السابعة مساءً ـ منصة «زوم» وخاصية البثّ المباشر عبر صفحة «صالون المنتدى الثقافي» على فايسبوك.

جلسة طرب مع دالين جبور

تضرب عازفة العود والمغنية اللبنانية دالين جبّور (الصورة)، يوم الخميس المقبل موعداً جديداً مع الجمهور في إلى «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي»، حيث تحيي حفلة مخصّصة للطرب والفن الأصيل. في السهرة المرتقبة، ترافق دالين مجموعة من الموسيقيين، تضم: سمير نصر الدين (عود)، جوزيف سمعان (كمان) وماهر العطّار (إيقاع). درست جبور الغناء العربي المشرقي في «الجامعة الأنطونية»، ونالت إجازة في التربية الموسيقية من الجامعة اللبنانية. صعدت على مسارح لبنانية وشاركت في مهرجان عدة حول العالم.

حفلة دالين جبّور: الخميس 30 أيلول (سبتمبر) الحالي ـ الساعة السابعة والنصف مساءً ـ «أونوماتوبيا ـ الملتقى الموسيقي» (السيوفي ـ الأشرفية). الدخول مجاني. للاستعلام: 01/398986

ساندي ومكرم... في «ستايشن بيروت»

في إطار برنامج ملتقى «مينا»، تحيي المغنية اللبنانية الشابة ساندي شمعون (الصورة) حفلة، يوم الخميس المقبل، في «ستايشن بيروت» بالاشتراك مع الموسيقي مكرم أو الحسن (دوبل باص، تأليف وتوزيع). تطلّ ساندي على الجمهور لمدّة 45 دقيقة، فيما سيعزف مكرم لساعة كاملة. إلى جانب الثنائي، تتخلّل السهرة مشاركة للعازفين: نضال أبو سمرا (ساكسوفون)، هراتش قسيس (ساكسوفون) وخالد ياسين (دارمز). درست ساندي شمعون الفنون الصوتية والمرئية في «جامعة القديس يوسف» في بيروت، كما حازت إجازة في التمثيل من الجامعة اللبنانية. هي عضو مؤسس في فرقة «الراحل الكبير»، كما أنّها تقيم حفلات منفردة تدور في فلك الأغاني العربية الفلكلورية التي تقوم على النقد الاجتماعي. أما أبو الحسن، فهو عازف مع مجموعات وفرق مختلفة، تتنوّع موسيقاه بين الجاز والموسيقى الكلاسيكية والعربية. يؤلّف الموسيقى لمشاريعه الخاصة ويتولّى كتابة المدوّنات حول الموسيقى والفن والمجتمع.

حفلة ساندي شمعون ومكرم أبو الحسن: الخميس 30 أيلول (سبتمبر) الحالي ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «ستايشن بيروت» (جسر الواطي ـ بيروت). الدخول مجاني. للاستعلام: mina@ettijahat.org

غيلان الصفدي راصداً حيوات الآخرين

في الأوّل من تشرين الأوّل (أكتوبر) المقبل، يفتتح التشكيلي السوري غيلان الصفدي (1977 ـ الصورة) معرضه الفردي الجديد The Lives of Others (حيوات الآخرين) في غاليري 56th Art on في الجميزة. لطالما أكد الصفدي أنّ لوحاته في «تطوّر مستمر» وأنّ تجربته الآن أصبحت «أكثر وضوحاً... كنت أميل لبعض الوقت إلى الأبيض والأسود لأنهما يمثلان الاكتئاب». تعجّ أعماله بشخصيات مختلفة، يلعب كلٌ منها دوراً في سرد مشاهد مقلقة. وسواءً كانت القضايا اجتماعية أو سياسية أو بيئية أو حتى شخصية، فكل لوحة تكشف حقيقة غير مريحة حول المناخ المضطرب في العالم اليوم.

افتتاح معرض The Lives of Others: الجمعة 1 تشرين الأوّل ـ الساعة السادسة مساءً ـ غاليري Art on 56th (الجميزة ـ بيروت). للاستعلام: 01/570331

الأخبار
al-akhbar

السبت 25 أيلول 2021
العدد 4447 السنة السادسة عشرة
Samedi 25 Septembre 2021 nº 4447 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

سالي روني
كتابة الحياة

منذ باكورتها «أحاديث مع الأصدقاء» (2017)، تصدّرت الروائية الشابّة سالي روني، الموجة الإيرلندية الأدبية بكتابتها رواية تجري أحداثها ونقاشاتها في دبلن المعاصرة. العاصمة الإيرلندية احتضنت في رواية روني أحاديث وحوارات وأفكاراً لمجموعة من الأصدقاء وزملاء الجامعة في فترة انتقالهم من المراهقة إلى البلوغ. صدور الرواية الثالثة لسالي رواني بعنوان «أيها العالم الجميل، أين أنت؟» (Faber) أخيراً، شكّل حدثاً أدبياً في بريطانيا وإيرلندا وفي العالم بتصدّرها قائمة المبيعات على Amazon. واللّافت أن أجواء روايتها الأحدث لا تبتعد عن هذه الشهرة الهائلة التي حقّقتها الروائية قبل أن تبلغ الثلاثين. تجربة روني مع الشهرة التي حوّلتها إلى نجمة في عمر السابعة والعشرين، تجد طريقها إلى هواجس بطلة روايتها أليس الكاتبة البالغة ثلاثين عاماً. ترصد الرواية التغيّرات الكبيرة في حياة أليس بعد الشهرة، وهي تتقاطع في كثير من المواضع مع سيرة روني نفسها التي جمعت ثروة مالية هائلة فجأة. غير أن أليس، تواجه انهياراً عصبياً، وتضطرّ إلى الإقامة في مصحّ للأمراض العقليّة. لدى روني قاعدة تتبعها في كتابة رواياتها، أهمها تجنّب تقمّص دور كاتبة أكبر سناً وأكثر حكمة من عمرها الحقيقي، بل تحرص على الكتابة بمعرفتها عن تجارب جيلها. هكذا يخوض أبطالها نقاشات وحوارات حول الرأسمالية والفروقات الطبقية والتغير المناخي، والإجهاض وغيرها من هواجس واهتمامات هذا الجيل، خصوصاً في دبلن، تلك المدينة التي شهدت قبل قرن حوارات ستيفن وكرانلي حول الدين والكاثوليكية في «بورتريه الفنان في شبابه» لجيمس جويس. الكاتبة الماركسيّة، كما وصفها النقّاد، لا تجبر أبطالها على اتخاذ مواقف معيّنة، بل هم فقط يبحثون عن إجابات لتساؤلاتهم التي لا تنتهي حول الحب والعلاقات والطموحات الفرديّة والمال والعائلة والدين. هذه الأسئلة الدنيوية اليومية التي تصنع الرواية الجديدة ومناخاتها. كلّ ذلك تلتقطه روني وتنقله بشفافية على ألسنة شخصيّتي روايتها الأساسيتين أليس وصديقتها منذ أيام الجامعة أيلين المحرّرة في إحدى المجلّات. نتابع حواراتهما ونقاشاتهما من خلال تبادلهما الرسائل الإلكترونية على البريد، وعلى وسائل التواصل الإجتماعي التي ترصد الروائية تأثيرها على حيوات الشخصيات. هذا الانشغال بالحياة اليومية في الرواية، هو ما دفع بعض النقاد أخيراً إلى اتهام العمل بافتقاره إلى العمق. هكذا ترصد الرواية تأثير المال على العلاقات وعلى العمل الإبداعي، الذي يأخذ مساحة كبيرة من حوارات أليس وصديقتها. تعترف أليس لها «لم أعد قادرة على قراءة الروايات المعاصرة»، لماذا؟ لأنها باتت تعرف معظم كتاب الوسط الأدبي، الذي يقضون عطلهم في مدينة برلين، ويجرون بضعة مقابلات هناك، ويحضرون المناسبات الاجتماعية، ويعودون بعدها ليخرجوا كوميبوتراتهم النقالة من نوع «ماكبوك» للكتابة عما يعتقدون أنها «الحياة اليومية الحقيقية».

حوار

أماني أبو رحمة: نعيش نصّ الأفول ونهاية «عصر النهايات»

تحرث أماني ابو رحمة حقلاً نقدياً شائكاً. فتبدو كمن يغرّد خارج السرب، نظراً الى طزاجة أطروحاتها النقدية بالمقارنة مع سكونية المشهد عربياً. تضع اسئلة ما بعد الحداثة، وبعد ما بعد الحداثة، فوق طاولة التشريح، في رحلة تنقيبية صارمة باستدعائها مفاهيم جمالية جديدة تتكئ على كتابات نقّاد اوروبيين كبار مثل فريدريك جيمسون ولاكان وفوكو وديريدا واخرين، للإجابة عن موقع ما بعد الحداثة في الثقافة العربية، بقصد ترميم المسافة بين ثقافتين، رغم التباين المعرفي بينهما. يأتي هذا الاهتمام بالدرجة الاولى من ثقل مرجعيات هذه الباحثة الفلسطينية التي درست التربية وعلم النفس، لتنعطف نحو التكنولوجيا الحيوية. بالإضافة إلى تعمّقها في دراسات الحداثة وما بعد النسوية. أنجزت مؤلفات وترجمات نوعية في هذه الحقول. مثل «نهايات ما بعد الحداثة» و«ماوراء القص» و«من الحداثة إلى ما بعد النسوية» و«الإنسان في ما بعد الحداثة». في حوارنا معها، تشير صاحبة «افق يتباعد» إلى انّ ابرز اسباب نهاية ما بعد الحداثة وتجاوزها حسب الاطروحات الراهنة، هو استهلاك تقنياتها وجمالياتها، التي كانت تعدّ طليعية ومغايرة وصادمة، من قبل الثقافة الشعبية ونمط الحياة اليومي ووسائل الإعلام والإعلان. إذ تحوّلت - في نهاية المطاف- إلى موضة ادت إلى فقدانها اهميتها الثقافية التي تمتّعت بها عند انطلاقتها في النصف الثاني من القرن العشرين.

وتستشهد بما قاله ريمون فيدرمان بأنّ «ما بعد الحداثة» قد لاقت حتفها على يد المجتمع الاستهلاكي وما بعد الصناعي الذي بشّرت به وسعت إلى خلقه. بالإضافة إلى انّ «ما بعد الحداثة» لم تعد تمثل او تعبر عن سياسات الاختلاف التي حظيت بمكانة محورية بارزة في فكر تلك الحركة. فالمجتمع المعاصر كان قد تحول بالكامل إلى مجتمع ما بعد حديث بسبب النزعة الاستهلاكية. هكذا اطاحت الازمات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والكوارث الطبيعية، وما نتج عنها من هجرات جماعية وتغيّرات ديموغرافية كبيرة، والتطورات الهائلة في مجالات العلوم وتكنولوجيا الاتصالات بركائز ما بعد الحداثة. وإذا بها تتحوّل إلى جزء من المشكلة نفسها، وليست وسيلة للحلول وتجاوز الأزمات. ونتيجة لكل تلك التداعيات، تنامى الشعور باليأس والإحباط مما بعد الحداثة. وبدا السعي الاجتماعي والثقافي لتجاوزها والمضي قدماً نحو بعد ما بعد الحداثة، من ضفةٍ اخرى. تمتني اماني ابو رحمة في عزلتها الاضطرارية تحت ضغط جائحة الكورونا باسئلة «نهاية عصر النهايات» في متوالية تتعلّق بنهاية الإله ونهاية الذات ونهاية الاصالة ونهاية المعنى. وإذا بالمشهد يرتكز إلى ثلاثة اضلاع: مؤلف ميت، نصّ مائع وقارئ مسيطر

حوار وتقديم **خليل صويلح**

■ في كتابك «أفق يتباعد: من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة»، تبدو أطروحاتك قفزة في الفراغ النقدي العربي الذي بالكاد يلامس تخوم الحداثة، وإلى حدٍّ ما الاشتباك مع أسئلة ما بعد الحداثة لجهة الإطاحة بالسرديات الكبرى، فما بالك بمصطلح مثل «بعد ما بعد الحداثة»، لنفكك هذا المصطلح أولاً؟

ـ ترتبط «ما بعد الحداثة» بشكل وثيق جداً بـ«ما بعد البنيوية»، وهذا يعني ارتباطها بكتابات المفكرين الفرنسيين اللامعين مثل لاكان، ودريدا وفوكو ودولوز وليوتار وأتباعهم الكثر. وتعد نظريات ما بعد البنيوية معقّدة للغاية في واقع الأمر، بل إنها تتناقض مع بعضها في الحجج الفردية، ولكنها جميعاً تشترك في الافتراض نفسه عن الإشارات والأشياء، وبمعنى آخر لا توجد علاقة طبيعية موحّدة بين الأشياء والعلامات. تفترض «ما بعد الحداثة» وجود تجزئة دائمة وتفكيك وإعادة بناء. الأمر الذي سهّل ظهور الأصوات المهمّشة والهشّة والحرومة والمستبعدة. أصبحت نظرية الفوضى عنصراً رئيسياً بشكل متزايد في تحليل ما بعد الحداثة، كما كان نيتشه، بدلاً من هيغل، ملهم المفكرين ما بعد الحداثيين. يعيد ما بعد الحداثيين تعريف أنفسهم باستمرار ويبحثون عن معان جديدة. إنهم مكتشفو المشاكل كما أنهم واضعو الحلول في الوقت نفسه. لذا، فإنهم يميلون إلى اختزال الحياة في جملة مشاكل وحلول. كما أنهم يرغبون في الانخراط في عمليات تفكير غير مسبوقة، ويستهينون بالمعرفة التي تطوّرت بشكل منتظم عبر العصور. ونتيجة لذلك، فإن الإرهاق من فوضى ما بعد الحداثة، جنباً إلى جنب مع الرؤية الثقيلة لواقع عصي على الفهم، يجعل الناس «لا يقرون في أجسادهم، مع عدم وجود قاعدة آمنة يمكن من خلالها التفاوض على تحدي وإنكار الطبيعة الحقيقية للعالم». فكان على المنظّرين الجدد القول: كفى! لا يمكن تحمل الهذيان لفترة طويلة. إن كياناتنا الحية أضعف من أن تتحمّل هذه الجرعات الكبيرة من الغطرسة والبارانويا.

عموماً، كانت ما بعد الحداثة فترة انتقالية في البحث البشري عن المعنى، أذهلت العقل برؤيتها العنيدة للواقع العصي على الإدراك والحقيقة، والتي يتم استبدال مفهومها بالكامل بدلالة غير محدودة وفوضوية عائمة حرّة. هذا يقود المرء إلى حافة الجنون الفصامي، مع عدم وجود وسيلة للدخول الإجباري إلى الوجود، والذي يجب أن نكون جزءاً لا يتجزأ منه حتى ندعى بشراً.

لهذا السبب، بدلاً من المحاولات غير المثمرة لتمثيل- العالم- كما هو، يسعى المرء إلى تمثيل -العالم – كما- ليس- هو، وتأثيثه عن قصد بالمعنى وبناء مبادئه الجديدة والمعدّلة بشكل إدماني. وهكذا، فإن الاحتفال والقبول المدرك للعالم المخلوق - كما -ليس- هو - مع كون الحقيقة الوحيدة المتاحة هي الحقيقة المركّبة وصف فريدريك جيمسون لما بعد الحداثة على أنها «المنطق الثقافي للرأسمالية المتأخرة» في فهم التحول مما بعد الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة. لأنه في تعريفه الحاسم لما بعد الحداثة، فإن الانتشار المتساوي للتوسع الرأسمالي هو الذي ينتج ممارسة ثقافية تساوي بشكل مطلق بين الفضاء والسطح؛ فهذا كل «ما لديك عندما تكتمل عملية التحديث وتذهب الطبيعة إلى الأبد». مع ذلك، يدّعي جيمسون أن هذا يفتح إمكانية «استهلاك التسليع المطلق كعملية». اكتملت هذه العملية الثانية (سواء على مستوى القبول العام لمنطق ما بعد الحداثة هذا، أو من حيث اكتمال الانتشار المعولم للرأسمالية). هذا هو استهلاك بعد ما بعد الحداثة من أفكار جيمسون. في حالة الرأسمالية المعولمة بالكامل، يكون تكثيف الأسطح الموجودة بالفعل هو المهم. يتطلب هذا المنطق زيادة رأس المال لما هو موجود: من خلال العلامات التجارية وإنتاج فائض القيمة، بمضاعفة المعاني بدلاً من الأسطح. والوصف الاقتصادي لهذا هو «تكثيف التمويل. يصبح كيف يمكنك أن تضغط للحصول على المزيد من الأرباح من الأشياء التي لديك بالفعل؟ هو الممارسة الأساسية لهذا الاقتصاد الجديد المحفوف بالمخاطر». تماماً كما أن

> **يتفق معظم النقاد والمفكرين والباحثين على أن نهاية الحرب الباردة كانت أحد اهم اسباب نهاية ما بعد الحداثة**

للوقائع الاقتصادية للرأسمالية المتأخرة ارتباطاتها بالإنتاج الثقافي لما بعد الحداثة، كذلك يلعب منطق التكثيف نفسه في الإنتاج الثقافي لفترة الرأسمالية المعولمة. إن المنطق المركزي للتكثيف (الذي حل محل توسع ما بعد الحداثة) هو الذي يوجه أشكال ما بعد ما بعد الحداثة. وتبعاً لذلك، ربما تكون أفضل طريقة لفهم ما يحدث هو القول بأنه على الرغم من أن ما بعد الحداثة لا تزال موجودة، إلا أنها لم تعد الفكر الرائد. إن ذروة ما بعد الحداثة قد انتهت، وعلى الرغم من أن آثارها الثقافية لا تزال موجودة، إلا أنها لم تعد مصدر الرؤى الأقوى لفهم العالم الذي نعيش فيه.

■ لكن ما الفروقات الجوهرية بين ما بعد الحداثة وما بعد بعد الحداثة؟

ـ أفكار بعد ما بعد الحداثة ليست انتقائية؛ فها هنا كل شيء متاح. لا تحوّل صريحاً ضرورياً، إنما أفكار كبيرة متضاربة ومتنوعة ومتداخلة تعزز منطق الفردية الهائلة. يمكننا القول إنّ بعد ما بعد الحداثيين يتخذون من الحداثة وما بعد الحداثة على حد سواء مصدراً لأفكارهم واستلهاماتهم من دون قيد أو شرط، ويقفون على مسافة نقدية واحدة من كلتا الحركتين. تغذي الحركتان ببراعة خيالنا والطريقة التي نناقشها ونبتدعها ونتفاعل معها بها. أصبحت ما بعد الحداثة «مجرد» أحد الألوان التي قد نستخدمها. (تستخدمها ليدي غاغا، على سبيل المثال، لكن أديل لا تفعل. يوظفها تاكاشي موراكامي ولكن جون كورين لا يفعل) أو لتبديل الاستعارة، مجرد أداة أخرى ضمن أدوات. لماذا؟ لأننا جميعاً أصبحنا أكثر ارتياحاً لفكرة حمل فكرتين لا يمكن التوفيق بينهما في رؤوسنا: إنه لا يوجد نظام للمعنى يمكن أن يحتكر الحقيقة، ولكن لا يزال يتعيّن علينا تقديم الحقيقة من خلال نظام المعنى الذي اخترناه. لذا فإن تحدي ما بعد الحداثة، على الرغم من أنها أقل قوة بالنسبة إلينا، هو أن نتعلم كيف نتعايش معها.

غير أن هناك فرقاً جوهرياً ثميناً يمكننا تحديده استناداً إلى التحليل المعطى في السؤال الأول. دعني أطلق عليه التحوّل من الايستمولوجيا إلى الأنطولوجيا أو أقله الجمع بينهما في عقدة لا تنفصم، وبتعبير آخر تجاوز ما بعد البنيوية أو الانعطافة اللغوية، والتوجه نحو المادة في ما بات يعرف بالمادية الجديدة، أو «الانعطافة المادية» أو الواقعية الجديدة، لن نهتم بالسمات كما اتفقنا. ويرتبط ذلك كله بالموقف من العلم والفاعلية الذاتية التي همّشتها ما بعد الحداثة وأوكلتْ للسلطة واللغة والإيديولوجيا مهام تشكيل ذاتياتنا بوصفنا موارد خاملة تنتظر التشكيل.

■ في دراستك «نهاية عصر النهايات» تطرحين استراتيجيات جديدة للسرد. ما هي مقوّمات هذا التحوّل في عملية التخييل؟

ـ تؤكد غالبية المنشورات النقدية أنّ تحولاً ملحوظاً في الأدب المعاصر قد حدث. غالباً ما يقع هذا التحوّل في مكان ما في التسعينيات. تتعدد الأسباب المقترحة لتفسير هذا التوقيت؛ ومع ذلك، غالباً ما تبدو مفتعلة وتعسفية إلى حد ما. ولكن المؤكد أنّه بحلول عام 1989، بدا أن زوال ما بعد الحداثة، بالنسبة إلى معظم الناس، حتمي. وبحلول منتصف التسعينيات، كانت عبارة بعد (أو ابعد من) ما بعد الحداثة موجودة على أغلفة عدد من الأعمال النقدية. غالباً ما تتم مناقشة الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من سبتمبر، التي مثّلت «إعادة توجيه نحو القيم الإنسانية الليبرالية التي فكّكتها ما بعد الحداثة» والتي أصبحت «أكثر وضوحاً بعد الحادي عشر من سبتمبر لأننا أصبحنا فجأة أكثر حساسية تجاهها». ولذلك، يبدو من الآمن افتراض أن التغيير في الأدب أصبح واضحاً بالفعل في التسعينيات، لكنّ العدد الهائل من الأسباب التي تمّ طرحها في المنشورات ذات الصلة يشير إلى أنّه قد لا يكون هناك سبب واحد يمكن أن يُنسب إلى هذا التحوّل. ومع ذلك، يشير بعض النقّاد إلى أنّ التغييرات كانت مرئية قبل هذا التاريخ ويمكن على أي حال أن تفسّر كنقطة تحوّل في التخييل الأميركي، وليس الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك «قواعد الحظيرة البشرية» في سياق بعد ما بعد الحداثة؟

ـ يمثل الفيلسوف الألماني الشهير بيتر سلوتردايك توجهات بعد ما بعد حداثية مهمة. يشارك سلوتردايك في ما بات يعرف بـ«الانعطافة نحو السياسات الحياتية» ونقاشات ما بعد الإنسانية والتنظيرات المهمة عن انهيار الحدود الذي بشّرت به ما بعد الحداثة: انهيار الحدود بين الإنسان والآلة والإنسان والحيوان والآلة والحيوان، ضمن انهيارات حدودية أخرى بالطبع. وتحت مظلة هذا النقاش الساخن الذي يدور في كلّ المجالات وفي الإعلام والحياة اليومية، يمكن وضع سلوتردايك في خانة منظّري الإنسانية العبورية. والإنسانية العبورية توجه ينضوي تحت مظلة ما بعد الإنسانية بشكل عام والتي تشمل، فضلاً عن الإنسانية العبورية، ما بعد الإنسانية النقدية، وضد الإنسانية، وما وراء الإنسانية، واللا-إنسانية وتوجهات المادية الجديدة المعاصرة. تُعرف الإنسانية العبورية بوصفها امتداداً للإنسانية الحداثية التي لا تقتصر على الأساليب التقليدية (على سبيل المثال التعليم)، من أجل تحسين حالة «الجنس البشري». البشر العبوريون هم، ببساطة، بشر انتقاليون يسيرون على «طريق التعالي». أناس يرون أنهم يؤدون بأجسادهم دور ملموس. «تظهر الفردية عندما يقوم الناس بوصف أنفسهم بأنفسهم، لذلك يبدأون في المطالبة بحقوق الطبع والنشر لتاريخهم وإرائهم». هكذا يؤكد في كتاب محاورة قصيرة معه تحمل عنوان «الفحص الذاتي». ويواصل حديثه قائلاً إنّ هذه «الفردانية الجديدة» قد استكملت في الوقت نفسه بـ «التصميم الفرداني: نحن الآن ندّعي أيضاً الحق في صورة مظهرنا». تقود الفردانية المعاصرة إلى حقيقة أساسية هي أن كل ذات هي ذات مزدوجة أو ذات مع شريك من ذاتها. غالباً ما يستخدم سلوتردايك استعارة «فردانية -الشقة»، التي يناقشها بشكل خاص مطولاً في هذا المجلد، من أجل استحضار واقع اجتماعي لا تتشارك فيه سوى الجدران التي تفصل «مجالات الأنا» المجهّزة جيداً بعضها عن بعض. هذا الوضع من العزلة المشتركة مريح للغاية بفضل شبكات الاتصالات التي تربط كل شقة بأخرى غير معروفة أو معروفة. وهكذا يتحوّل المنزل إلى كبسولة ممتعة يعمل فيها الفرد أو الزوجان، مع أو بدون أطفال، كسادة تواصليين. يتحول المسكن إلى «منطقة مناعة»، و«إجراء دفاعي يتم من خلاله ترسيم حدود منطقة السلامة ضد المتطفّلين وغيرهم من جالبي الكوارث». أما المتحوّل الوحيد فهو رأس المال.

أماني ابو رحمة: بعد ما بعد الحداثيين يتحدثون عن الحداثة وما بعد الحداثة على حدّ سواء مصدراً للأفكارهم

سلوتردايك نسخته الخاصة من فكرة أن الاستقلال الذاتي الفردي لم يعد مثالياً فلسفياً، ولكنه واقع ملموس. «تظهر الفردية عندما يقوم الناس بوصف أنفسهم بأنفسهم، لذلك يبدأون في المطالبة بحقوق الطبع والنشر لتاريخهم وإرائهم». هكذا يؤكد في كتاب محاورة قصيرة معه تحمل عنوان «الفحص الذاتي». ويواصل حديثه قائلاً إنّ هذه «الفردانية الجديدة» قد استكملت في الوقت نفسه بـ «التصميم الفرداني: نحن الآن ندّعي أيضاً الحق في صورة مظهرنا». تقود الفردانية المعاصرة إلى حقيقة أساسية هي أن كل ذات هي ذات مزدوجة أو ذات مع شريك من ذاتها. غالباً ما يستخدم سلوتردايك استعارة «فردانية -الشقة»، التي يناقشها بشكل خاص مطولاً في هذا المجلد، من أجل استحضار واقع اجتماعي لا تتشارك فيه سوى الجدران التي تفصل «مجالات الأنا» المجهّزة جيداً بعضها عن بعض. هذا الوضع من العزلة المشتركة مريح للغاية بفضل شبكات الاتصالات التي تربط كل شقة بأخرى غير معروفة أو معروفة. وهكذا يتحوّل المنزل إلى كبسولة ممتعة يعمل فيها الفرد أو الزوجان، مع أو بدون أطفال، كسادة تواصليين. يتحول المسكن إلى «منطقة مناعة»، و«إجراء دفاعي يتم من خلاله ترسيم حدود منطقة السلامة ضد المتطفّلين وغيرهم من جالبي الكوارث». أما المتحوّل الوحيد فهو رأس المال.

■ تحتل «السياسات الحياتية» جانباً مهماً من اشتغالاتك. لماذا السياسات الحياتية، وهل ما زال ميشال فوكو ذا صلة في هذا المجال رغم التطورات الهائلة في مجال التكنولوجيا الحيوية والتنظيرات الواسعة التي حدثت بعد وفاته في مجال السلطة والسياسات الحياتية؟

ـ في ما يتعلق باهتمامي بالسياسات الحياتية، فلأن المجال هو أحد أبرز اشتغالات الألفية الثالثة أو بعد ما بعد الحداثة إن شئت. عصرنا هو عصر التكنولوجيا الحيوية، مجال عملي واختصاصي الأكاديمي، والسياسات الحياتية هي الجانب الفلسفي لهذا التخصص. وفي عصر تضافر التخصصات الذي نعيشه اليوم، لا مجال لفصل العلوم عن الإنسانيات في أي حال من الأحوال. قلت إن عصرنا هو عصر التكنولوجيا الحياتية والشواهد على ذلك كثيرة، خذ مثلاً: زيادة براءات اختراع التكنولوجيا الحيوية ومختبرات الأبحاث الجينومية، وزيادة شركات التكنولوجيا الفائقة التي تحوّلت عن برمجيات الاتصالات إلى المعلوماتية الحيوية. وتطوير المناهج الجامعية بحيث تركز على مساقات التكنولوجيا الحيوية. وزيادة الاهتمام السياسي بالتكنولوجيا الحيوية وصنع السياسات واللوائح المتعلقة بممارستها ومنتجاتها. وتزايد المناقشات العامة حول أخلاقيات التكنولوجيا الحيوية. وتطور علوم البيولوجيا الصناعية. ما إذا كانت التكنولوجيا الحيوية تصنيفاً صالحاً لهذا العصر الذي تستند فيه التكنولوجيا والابتكار الاجتماعي والاقتصادي والنمو والتنمية إلى التكنولوجيا الحيوية، أو مجرد خطوة على جسر انتقالي نحو ما بعد الإنسانية، قد لا يكون معروفاً لسنوات عديدة قادمة. على الرغم من أن هناك شيئاً واحداً مؤكداً، هو أننا مشاركون في هذا العصر الحالي، ونسير نحو المجهول بخطى ثابتة.

كانت الشرارة الأولى في عام 1998 عندما ظهرت الترجمة الإنكليزية لكتاب الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين حيث يحلل عبارة ميشال فوكو التي غدت بؤرة اهتمام الدراسات السياسية الحياتية المعاصرة «حق الموت والسلطة على الحياة» في أول إصدار من سلسلته الإنسان المستباح التي تحمل عنوان «الإنسان المستباح: السلطة السيادية والحياة العارية». وبعد تعليقات أغامبين المثيرة للجدل على عمل فوكو، تبعها في عام 2000 تعديل استفزازي لنظرية فوكو قام به كل من أنطونيو نيغري ومايكل هارت في الجزء الأول من ثلاثية بعنوان «الإمبراطورية». بعدها، حدث الانفجار وهاجر مصطلح السياسات الحياتية من الفلسفة إلى شواطئ ليست أبعد كثيراً: الإنثروبولوجيا والجغرافيا وعلم الاجتماع والعلوم السياسية واللاهوت والدراسات القانونية والبيوطيقا والميديا الرقمية والتاريخ وليس أخيراً، العمارة.

■ ما هي انشغالاتك النقدية اليوم؟

منذ بداية جائحة كورونا والأوقات الطويلة من الفراغ والحجر المنزلي وأنا أعمل على فكرة شرح التغييرات التي حدثت في عصرنا أو قل في العقد الأخير بتوظيف الفن والأعمال الفنية. بمعنى توضيح انتقالنا من ما بعد الحداثية إلى بعد ما بعد الحداثية والتركيز على الأعمال الفنية التي اختلفت جذرياً في بعض المجالات كفن الإنترنت وما بعد الإنترنت وفن التكنولوجيا الحياتية الدارج اليوم في عصر البيولوجيا والجينوم الذي نعيشه. وفي مجالات فنية أخرى جرى تكثيف الثيمات ما بعد الحداثية وأخذها إلى أقصاها، مما يتفق مع شرحي لمفهوم بعد ما بعد الحداثية في إجابة السؤال الأول، مثل تحويل الفن إلى سلعة والفنان النجم والمعارض بدل المتاحف والاستيلاء والانتحال والوسائطية والريمكس أو إعادة الإنتاج. أتوقع أن يكون عملاً مهماً، وأنا أعمل بجدية على إنجازه. أما العمل الثاني، فقد بدأت به منذ فترة قبل الجائحة وتوقفت مراراً، وأعتزم العودة إليه، وهو عن التحوّل من «الانعطافة اللغوية» بعد الحداثية إلى «الانعطافة المادية» بعد ما بعد الحداثية، سأتناول تطبيقات سردية وفنية أيضاً. أما في القريب العاجل، فسأواصل سلسلة «نهاية عصر النهايات» التي بدأتها على صفحتي على الفايسبوك، وقد أوسّعها لتكون لاحقاً كتاباً جديداً.

ترجمة

هوغو بال: قوانين الإيقاع ليست مهمة

وُلد هوغو بال (1886-1927) لعائلة كاثوليكية في جنوب ألمانيا. درس الفلسفة في جامعة ميونيخ حيث تعرّف إلى فلسفة نيتشه والفوضويين الروس. في عام 1909، عمل Hugo Ball على أطروحة الماجستير عن نيتشه، ولكنه في عام 1910 ترك الجامعة فجأة من دون أن يكمل دراسته. خلال دراسته، فقد إيمانه الكاثوليكي أيضاً. في عام 1914، هرب مع زوجته لاحقاً إيمي هينتغز إلى سويسرا. كان شاعراً دادائياً. من أشهر أعماله: «انف مايكل انجلو» (كوميديا المأساوية في أربعة عروض)، «لايبزيغ، إرنست روهلت» (1911)، «المسيحية البيزنطية» (1923)، «هيرمان هيسه: حياته وأعماله» (1927)، «الهروب من الزمن» (مذكرات، 1927)

ترجمة وتقديم **مهدي النفري**

تستحقّ في سطوع الشمس والعجائب التي تحلّ محل التقاليد
إنها مليئة بالابتكار والغرابة والنزوات
رقصت على أنشودة السمكة الطائرة
وفرس البحر، رثاء المحاكاة الصوتية
كانت رقصة مليئة بالومضات والحواف،
مليئة بالضوء الساطع وقوة الاختراق
تحطّمت خطوط جسدها وتقطعت كل
إيماءة إلى مئة حركة دقيقة وزاوية حادة
إن الدعابة في المنظور والإضاءة والجو
هي ذريعة يستخدمها الجهاز العصبي
شديد الحساسية من أجل المتعة الذكية
والسخرية
شخصياتُ رقصتها غامضة وبشعة
ونشوة في نفس الوقت.

■■■

إدخال المناظرات والإيقاعات بدلاً من
المبادئ لدحض الأنظمة العالمية القائمة
عن طريق تغييرها إلى جملة أو ضربة
فرشاة.
هذا الاختراع البعيد هو الحياة نفسها
لنكن مخترعين جدداً من الألف إلى الياء
دعونا نعيد صياغة الحياة كل يوم
ما نحتفل به هو المهزلة والقداس في
نفس الوقت.

■■■

12 يونيو 1916
ما نسميه دادا مسرحيةٌ خادعة من العدم
حيث يتم تناول جميع الأسئلة العليا
لفتة المصارع، لعبة البقايا الثافهة، إعدام
الأخلاق المطروحة والامتلاء.
يجب الدادائي ما هو استثنائي
حتى العبثي فهو يعرف أن الحياة تظهر
في التناقضات وأن الوقت الذي يعيش
فيه أكثر عزماً على تدمير الكرم من أي
وقت مضى.
لذلك فإن أي نوع من القناع مرحب به
العب أي لعبة كلعبة الغميضة ففيها
توجد ما يكفي من قوة خادعة.
الدادائي يحدث له ما هو مباشر ودبدائي
في خِضَم تناقض واسع مثل ما هو
خارق للطبيعة بحد ذاته.
منذ أن أدّى إفلاس الأفكار إلى ذبول
الإنسانية حتى أجزائها الداخلية
فإن الغرائز والدوافع الأساسية تظهر
الآن بشكل مثير للشفقة. نظراً لأنه لا
يمكن لأي نوع من الفن أو السياسة أو
المعتقد أن يصمد أمام هذه العاصفة، لم
يتبق سوى الوباء والوضع الدموي لدى
الدادائي إيمان بصدق الأحداث أكثر من
إيمانه ببراعة الأشخاص
بالنسبة له الناس رخيصة الثمن
لا يتم استبعاد نفسه،
لم يعد يؤمن بفهم الأشياء من وجهة
نظر واحدة لكنه مع ذلك مقتنع جداً
بالترابط بين جميع الكائنات
بالكل الذي يعاني منه في الاختلاف
ومن انحلال الذات، الدادائي يحارب ضد
التسمم وطبل الموت
يكره أي شكل من أشكال ضبط النفس
فهو يحمل فضول الشخص الذي يُسعدُ
حتى بأكثر أشكال الإذلال إثارة للتساؤل.
إنه يعلم أن عالم الأنظمة متشظياً وأن
الوقت الذي يُدفع به قد فتح عملية بيع
للفلسفات بكل أنواعها . عندما يشعر
تاجر السوق بالدهشة ويبدأ في التحدث
عن ضميره السيئ تبدأ نفحة من الضحك
وتعزية لطيفة للدادائي.

■■■

18 يونيو 1916
لقد دفعنا مرونة الكلمة حتى الآن بحيث
يصعب تمديدها أكثر من ذلك
لقد حققنا هذه النتيجة على حساب
الجملة المنطقية وبالتالي من خلال
اعترافه الديني والفلسفي لا يمكن للفن
أن يوجد أو يُفهم.
ومع ذلك فإن خيال الأطفال يخضع أيضاً
للفساد والتشويه
التفوق في السذاجة والطفولة
هذا هو أفضل ترياق.

■■■

21 نوفمبر 1916
ملاحظة نقدية حول الفردية: الذات التي
تم التأكيد عليها لها دائماً مصالح سواء
كانت جشعة أو متسلطة أو عبثية أو
كسولة.
إنها تستجيب دائماً للأذواق والغرائز
طالما أنها لا تنسجم مع المجتمع.
واحتياجاتهم على المعرفة والقول أن
إدراكهم غير مفهوم.
الطفولة ليست بديهية على الإطلاق كما
يفترض المرء بشكل عام
إنه عالم بقوانينه الخاصة ولا يولي له
سوى القليل من الاهتمام
لن يكون هناك فن دون ضرائب ودون
عيزيلي الأب والصديق العزيز،
سامحني لتأخري في إعادة مقال الأب
أورليان إليك حول طرد الأرواح الشريرة
ومذكرة الطبيب. اضطررت إلى ترك
موضوع (طرد الأرواح الشريرة) لفترة
من الوقت لكنني ساعود إليه لاحقاً.
أبي العزيز،
أتمنى ألا تكون غاضباً لأن رسائلي قليلة
ونادرة
كانت حياتنا في الآونة الأخيرة صعبة
للغاية مليئة بالهموم والعقبات.
غالباً ما نُنعتك بالمحظوظ لأن الدير
أبعدك عن كل هذه العذابات والمتاعب،
نحن هنا نهتم بالحياة اليومية في المقام
الأول.
إن الرب الغالي يواصل مساعدتنا كما
أعلم لكنه بالطبع يريدنا أن نواجه
المشاكل أولاً ثم في اللحظة الأخيرة
ينبتس ويعطينا بقدر ما نحتاج إلى
الإيمان بالمعجزات.
هي مشكلتي، حياتي، معاناتي..

هوغو بال فقفنا وهو يلقي قصيدته «قافلة» (زيوريخ، 1916)

لا أعتقد أنني مجنون. عيناي
مستيقظتان. يمكنني أن أكون رائعاً
حقًا. أعرف المانيا، لقد نشأت في الشتات
وأنا ضحية لذلك. جعلت القيادة
الغريبة والقدر الحتمي لي أن أكون
مركز الاهتمام في كل مكان في المسرح،
في الفن، في الفلسفة، في السياسة. كل
ذلك دونته في كتابي (الهروب من الزمن)
سيظهر لاحقاً.
هل تفهم أيها الأب العزيز أنه من الصعب
علي التخلي عن الفلسفة وأن أكون
كاثوليكياً من أجل شخصيتي الخاصة؟
يجب أن تتوب المانيا وهذا في
مصلحتها.
أو، تحمل معي، لا تظن أن ما أقوله لك
هنا هو ذريعة لترددي الشخصي. إذ
ليس من الصعب عليّ أن أبذل مجهوداً
لي. ذهبنا ذلك اليوم إلى سوق الأنتيكا، لقد كانت
تلك أول مرة أعلم بوجود ذلك السوق.
أصبح يحرص كل شهر على اقتطاع مبلغ سخي من
راتبه ليشتري قطعة يضيفها إلى عالمه الذي يضاهي
الواقع. نخرج يوم الجمعة من العمل ونركب السيارة
باتجاه سوق الأشياء القديمة أو دور المزادات أو أي
مكان يمكننا العثور فيه على ما يشبع شغفه. كان
يأخذني معه رغم أنني لم أكن لأفيده بشيء، فطالما
وجدت غضاضة في تبذير كل ذلك المال على أشياء
لم تكن تصلح - في نظري - لأكثر من تزيين الصالون
أو غرفة المعيشة.
تشاجرت هذا المساء مع زوجتي، ففعلت كما أفعل
دائماً، صفقت الباب ورائي وخرجت. جبت الأزقة
والشوارع بياس لأقرر أن أبيت عند صديقي «أبو
التحف».
اصطحبني إلى إحدى الغرف المخصصة للضيوف،
تمنى لي ليلة هانئة وذهب. وبما أنني كنت متعباً،
فقد استلقيت على السرير فور مغادرته.
في تلك اللحظة التي تفصل بين اليقظة والنوم،
سمعت صوت همسات آتية من أسفل، ظننت في
البداية أنني أتخيل، وبعد برهة تأكدت من أن الصوت
حقيقي، فخمنت أن هناك امرأة تقاسمه فراشه.
حسدته من أعماق قلبي على ليلته الرومانسية
بينما أنام وحيداً.
— لم تكن تريد الزواج، ولكنك لا تمانع إقامة علاقات
غرامية. يا لك من ساقط! قلت في نفسي.
أغمضت عيني محاولاً الاستغراق في النوم، فجأة
تعالى صوت موسيقى كسرت السكون. إنهما
يرقصان. اللعنة أي ليلة هذه!
دسست وجهي في الوسادة لتجاهل ما يقع في
الأسفل، لكن الصوت لم ينقطع. كانا يرقصان بصخب
كمهووسين. جلست فترة على طرف السرير، ثم
نهضت متتبعاً مصدر الصوت. هذه أول مرة أتجرأ
على النزول إلى الطابق السفلي رغم سنوات الصداقة
التي جمعتنا. يبدو أن الفضول أعمائي أو شعورَ
بالوحدة هو ما يدفعني لأشاركهما جلستهما، لا
يهم السبب الحقيقي. عند آخر درجة دهست شيئاً
ما، شيئاً له صوت كصوت طفل، إنها دمية خرجت
بطاريتها وأسلاكها. حملت الدمية بين يدي ورفعت
عيني أمسح الفضاء من حولي. أعطاني المكان
انطباعاً بأنني في متحف مصغّر: منحوتات ودمى
ومزهريات و أباجورات ولوحات.. اقتناها على مدى
سنوات تغطي الغرفة. بعضها موضوع بعناية في
مكانه وبعضها الآخر ينتظر دوره. تقدمت بخطوات
وئيدة ورحت أرقب بدهشة هذا العالم المريب،
المخالف للتوقعات. لم أصدق؛ كنت أمام عدد هائل
من الدمى والمانيكانات المعلقة بخيوط على الحائط.
في الجهة الأخرى كان يمسكها من خاصرتها
ويرقصان بتناغم أنيق.
كان يحضنها حينما همس في أذنها:
— هيا نخلع أقنعتنا، وإذا شئت فلنتبادل. ارتدِ
قناعي المزيف ولأرتدِ قناعك الذي بلا تعابير.
انتبهت أنني بقيت بلا حراك، فاغراً فمي، كمن أصيب
بصعقة في أعماقه، فصعدت الدرجات فوراً وغادرت
المنزل. وصلت أخيراً إلى المنزل بأنفاس متقطعة،
تطاردني الصور والأصوات والأسئلة.
أيهما يعد وعاء لمشاعر وحياة الآخر؟
من الذي علم الآخر الرقص؟ أقصد صديقي والمرأة-
المانيكان.
هكذا كان علي أن أكتشف متأخراً أنه كان منقسماً بين
عالمين متوازيين، وأدرك أن الحياة في الطابق العلوي
مجرد ظلال لحياته في عالمه السفلي.
لا أعرف أي صدفة ألقت بي بعد ذلك قرب محل لبيع
الملابس النسائية. من داخل سيارتي ظلت عيناي
مثبتتين على مانيكان واقفة في واجهة محل زجاجي.
ولا أعرف أيضاً أي جنون استبد بي وجعلني أسارع
لدخول المحل - وكان هناك من قد يسبقني ويأخذها
مني خلال الثواني التي تفصل بين خطواتي من
السيارة باتجاه الباب - وعرض ثمن خيالي للبائعة
التي ظلت تغالب اندهاشها أمام إصراري.
أخذت المانيكان وخباتها داخل خزانة في غرفة
المكتب، ومنذ ذلك اليوم فصاعداً، صارت زوجتي
تقول إنها تسمع صوت موسيقى صاخبة وضحكات
تنبعث من غرفتي.

* وجدة/ المغرب

جيورجيو دي كيريكو: الثيغونة مغزّلة (زيت على قماش، 1973).

نصوص

السينما مُشاهَدةً للحياة من نافذة

عبد الرحيم الصايك *

لا يستطيع التحرك. يداه وقدماه كما لو مغلولتان.
لا يستطيع النطق ولا يتحكم في رأسه الذي
يتمايل كورقة وحيدة في غصن، ولذلك إذا أردت
أن تحمله عليك أن تسند رأسه الصغير إلى صدرك
وتثبته بيدك. إنه ابن أخي ذو العامين ونصف،
الذي حملته هذا المساء بين ساعدي، وكلما كنت
أقوم بالدوران حول نفسي، كان يبتسم. كل هذا
الألم يا صلاح الدين وتبتسم ابتسامتك السماوية
التي جعلت حزني يخجل ويذهب إلى مكان آخر
ريثما يسنح الليل ليعود ويستفرد بشاعر صار
كلما فتح كلمة وجد معناها لاذعاً مثل لوز مُر.

■■■

حسب التقديم لفيلم «حصان تورينو» الذي أخرجه
فيلسوف السينما الهنغاري بيلا تار، فإن نيتشه
بعد أن عانق الحصان الذي جلده صاحبه، بكى،
وبعدما انتهت اللقطة التاريخية، عاد الفيلسوف
إلى بيته بمساعدة جاره وهناك جلس هادئاً
ومخبولاً لـيومين ثم ختم قائلاً لأمه: «أمي، أنا
أحمق». بعد سنة تقريباً، مات نيتشه وورى التراب
تاركاً خلفه إلهه الميت حياً في العالم.
يقول بيلا تار بخصوص توقفه عن الإخراج: «ماذا
بوسعي أن أخرج بعد فيلم «حصان تورينو؟».
وله الحق في قول ذلك. الفيلم يحكي عن الحصان
ومالكه وابنته في قرية تجاور تورينو. ستمر
حوالي ستة وعشرون دقيقة قبل أن تنطق البنت أول
جملة في الفيلم: «إنه جاهز»، في إشارة للأب ذي
اليد اليمنى المشلولة كي ينهض ويأكل البطاطس
المسلوقة بيده اليسرى. لا وجود لقصة تبدأ لتتوتر
شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي الفيلم بحلّ. لا. بيلا تار
ليس من هذا النوع، هو الذي أراد أن يكون فيلسوفاً
لبغيّر العالم، فوجد نفسه مخرج أفلام كما يقول،
ويضيف: «إن ما يُقودني وما يهمني في السينما
هو كرامة الإنسان. وأول شيء أفكر فيه قبل الإخراج
هو ألا أكذب». ولذلك فأمام أفلامه، يشعر الواحد
بأنه يشاهد الحياة من نافذة وليس عبر شاشة.
ثمة الكثير لقوله بخصوص بيلا تار وأسلوبه
لكني أشعر بالتعب، فأنا صرت أكتب وأفكر تقريباً
بالطريقة التي يأكل بها مالك الحصان الفلسفي
البطاطس المسلوقة، وبعدما أكمل أطرح السؤال
التالي: ماذا بوسعي أن أفعل؟

■■■

ما دمت تعرف أن لا أحد في هذا العالم بوسعه
إنقاذ روحك سوى كلماتك، فلتكتب إذن كما لو أنك
كنتَ تعالي من المشكلة ذاتها، غير أن الليل على
أشده، وكل جيرانك نائمون كحالزين على جذوع
الأشجار. منطقياً أيضاً، لن تطلب مساعدة أحد،
ولن يكون بمستطاعك النزول من قمة جبل الأحزان
الذي أنت فيه لتصل إلى حارس العمارة الذي لن
يساعدك لأنّه ثمل قرب ماضيه. لا تبرح الغرفة
واكتب متحسّساً الظلام. لا بد أن ثمة شعلة ما
وئيدة في مكان ما. تذكر فقط، دون أن توقظ كل
الماضي، واحذر أن ترتطم بقلبك. احذر أيضاً أن
تصدم قدمك بجرح جديد ما زال لم يندمل بعد.
تذكر أين وضعت الولاعة الأخيرة التي اشتريتها
والتي، لسوء الحظ، هي الأخرى سوداء. قد تكون
قرب الوسادة. لا. مرّر يدك فوق ندمك. وجدتها.
طيب الآن، السجائر في جيبك. أضرم الكلمة..

■■■

إنه هو. همنغواي. الشيخ، هذه المرة، ليس والبحر،
بل والرصيف. ماذا يفعل همنغواي هنا في آخر
العالم؟ ثمة من سيجيب، إنها الحياة حين تجنّ
وتبدأ في تمزيق الجرائد ورمي القنّاني من نافذة
بيتها القديم. ثمة من سيقول إنّها فعلة طفل. وجد
صورة همنغواي في مجلة، قصّها ووضعها في
دفتره، وطبعاً كانت النتيجة حين انتهى الموسم
الدراسي، هي التخلص من تركة المدرسة وهكذا
ظل همنغواي يزحف على بطنه إلى أن وصل إلى
رصيف الأمان ووصول سمكة الشيخ في روايته. ثمة
احتمالات أخرى ومن بينها أن قراري بالخروج
من البيت بعد ثلاثة أيام من العزلة، واختياري
طريقاً آخر غير الطريق، وانتعالي حذاءً أسود دون
تلميعه، كان مخططاً له من قبل غير قبلي، كي
أنهي شيئاً أو أبدأ شيئاً آخر. والحقيقة أني حين
عدت إلى أفكار تلك الثلاثة أيام، وجدت أن من بين
المرشحين الذين فكرت في التصويت لهم كان الموت،
بسبب برنامجه الانتخابي الصادق وكان أيضاً
النسيان، ولو أنه كان مرشحاً مغموراً، وبرنامجه
بالكاد تبينته، وكانت أيضاً الشمس، المرشحة
الجميلة التي أفرحتني بشعارها: «الشمس تشرق
أيضاً».

■■■

حسب علم الأرصاد الجوية، فإن الخريف قد بدأ
مشواره الأربعاء الفائت، وبالتالي فهو يبلغ إلى
حد الآن خمسة أيام. في مساء هذا اليوم، الأحد،
أرسل الخريف إشارة بالغة الوضوح. كانت
إشارته عبارة عن زوبعة جعلت الغبار يتسيد
المدينة لدقائق ليست قليلة. هذه الإشارة كانت
أيضاً إشعاراً للأشجار كي تهيئ نفسياً أوراقها
للسقوط، ولذلك كانت تتمايل وتبدو مياليانها
كأنها تطلب مهلة. كنت محظوظاً بسقوط قطرة
مطر من تلك القطرات النادرة التي سقطت. أخمن
أنها لم تتجاوز العشر. ربما تلك القطرة هي أيضاً
إشارة كي أتذكر شيئاً أو كي أستفيق من صيفي
القديم ذي الأربعين عاماً. في هذا المساء، لم يسقط
الخريف أوراق الأشجار، بل أسقط أكياس بلاستيك
وأوراق انتخابات ذابلة على الطريق المؤدية إلى
الغد.

■■■

من فضلك أيّها الواقع، دعني أمر، فقطاري في
انتظاري لأركب وأسافر إلى كلمة قديمة وعدتها
بالزيارة. لذلك مرة أخرى، لا تكن وقحاً كما في
المرة السابقة التي تسبّبت خلالها في تأخيري
عن الذهاب إلى كلمة كانت في أشد الحاجة إليّ.
لا تظن أيها الواقع أني ضعيف بكوني مؤدباً،
فقط أنا أتجنب الشجار معك، لأن ذلك يعني فقدان
الكثير من الكلمات التي أحتاجها لبناء جسوري
اليومية. أما إذا أردت معرفة قصة الشجار، فيكفي
أن تلقي نظرة على صدري ومعصم يدي حيث كل
ندبة هي قبر كلمة ماتت بشرف دفاعاً عن باقي
كلماتي. لم يعد يهمني أيها الواقع أن تفهم ما
ترمي إليه شقائق النعمان في نظرتي. ابرح مكانك
أو لا تبرحه، لا يهم. أفسح الطريق.

■■■

الخاتم فقط. الخاتم الذي تم إهداؤه إليّ من طرف
روح جميلة. الخاتم فقط، حين رأيته في فيلم من
إخراج جيم جارموش أحد المخرجين القلائل الذين
أفضل مشاهدة أفلامهم بشغف وبحب كبير. لا
داعي لأن نتحدث عن جيم الشاعر والمغرد خارج
سرب هوليود وشركات الإنتاج المعروفة. لا داعي
لأن نسهب في الحديث عن تصوراته وتفضيله
دائماً للاستعانة بممثلين، دائما على مشاهدتهم
ثانويين أو ذوي أسماء غير رنانة. ثم لا داعي لأن
نعرف أن جيم لا يحب أن يصعد قمة الجبل ليعلن
عن احاسيسه، ويحب أن يخرج فيلماً لأجل شخص
واحد سيراً على منوال مدرسة نيويورك للشعر:
«الكتابة لأجل شخص واحد». سأترك الحديث عن
جيم جارموش، وساعود إلى الخاتم الذي رأيته في
أصبع ممثل مغربي مثل دورا في أحد أفلامه only
lovers left alive. دهشت للتشابه، وتحدثت بصوت
مرتفع مع نفسي، وعلى هذه الطريقة حدثت فصول
كثيرة من حياتي ولا أعتقد أن الأمر سيتوقف،
وهذا شيء يفرحني ويجعل الشعر يساورني
دائماً. طيب ماذا عن الخاتم؟ الخاتم الهدية الذي
رأيته يمثل دوراً ثانوياً في إصبع، جعلني أذهب
إلى جارموش الإنسان، وليس المخرج، وبالصدفة،
أجد أنّ لديه صديقاً، اسمه أكي كوريسماكي. ظل
الأمر عادياً إلى أن أخطأ إصبعي في الضغط على
رابط ما جعلني أمام أفيش فيلم عنوانه «رجل بلا
ماض». كان العنوان كافياً لي كي أسقط في غرام
الفيلم. أووووه. إنه فيلم شاهدته منذ 16 عاماً.
لطالما بحثت عنه، وكنت خاطئاً بظني أنه فيلم
تشيكي. لا أعرف لم ظننته كذلك؟ شاهدت الفيلم في
قناة «دوزيم» سنة 2005، مستفيداً من ذوق الفنان
الكبير نور الدين الصايل رحمه الله، الذي كانت
لمسته واضحة جداً بجعله «دوزيم» تتدفق بأجمل
الأفلام العالمية. نور الدين الذي سئلتُ بمناسبة
وبلا مناسبة عن قرابتي به بحكم أنّ لدينا الكنية
ذاتها. كنت أجيب أننا من عائلة واحدة. عائلة الفن
السابع.
- هل أنت ممثل؟
— بكل تأكيد.
- لم نرك في فيلم من قبل
— ها أنت الآن تراني في هذا الفيلم الذي نحن
فيه. ثمة من يضحك، وثمة من يبدي إعجابه وثمة،
وهم كُثُرٌ، من لا يبدي أي شيء سوى نفسه. لم
يكن لدي خاتم في تلك السنوات، التي كنت أمثل
فيها أدواري التي لاقت فشلاً ذريعاً، ليس بسبب
فقداني للموهبة، بل لأسباب كثيرة، على رأسها:
غياب الإنتاج، غياب الطبيعة، وضعف لغة الحوار
والسيناريو، بالإضافة إلى استوديو المجتمع الذي
كان لا يصلح للحياة فبالأحرى أن يصلح للعب
أدوار.
جارموش أدى بي إلى الخاتم والخاتم أخذ بيدي
إلى أكي كوريسماكي، وكوريسماكي بفيلمه «رجل
بلا ماض» ذهب بي إلى نور الدين الصايل ونور
الدين الصايل سافر بي إلى الماضي والماضي
وضعني على كرسي في قاعة سينما، أطفأ
المصابيح وشرع في عرض الحياة التي...

* أسفي/المغرب

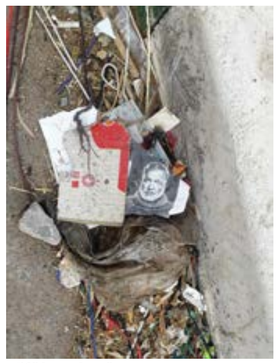

الصورة بعدسة الكاتب

قصة قصيرة

بيتُ التحف

سلمى بوصوف *

لم أفهم يوماً سبب هوس صديقي باقتناء التّحف
الفنية، كان افتتانه بها لا يُصدّق، ما دفعني لأن ألقّبه
بـ «أبو التحف» منذ دخل مكتبي وابتسامة ماكرة
تطلّ من شفتيه، يحمل بين يديه حصاناً خشبياً
أخبرني أنه هدية من جده في عيد ميلاده السابع.
قال بحماس
— هل تعرف معنى أن تتسلل إلى قطعة جامدة كهذه
حياة تشبه الحياة الواقعية بل تضاهيها واقعيةً؟
في حياتنا المعاصرة صارت هذه القطع أكثر حميمية
من الأشخاص
— لم أكن لأعثر لا على الحياة ولا على شيء آخر،
قلت له.
ضحك بثقة العارف بعالم لا أستطيع فهم كُنهه،
وطلب أن أرافقه إلى مكان مميز وغير مألوف بالنسبة
لي. ذهبنا ذلك اليوم إلى سوق الأنتيكا، لقد كانت
تلك أول مرة أعلم بوجود ذلك السوق.
أصبح يحرص كل شهر على اقتطاع مبلغ سخي من
راتبه ليشتري قطعة يضيفها إلى عالمه الذي يضاهي
الواقع. نخرج يوم الجمعة من العمل ونركب السيارة
باتجاه سوق الأشياء القديمة أو دور المزادات أو أي
مكان يمكننا العثور فيه على ما يشبع شغفه. كان
يأخذني معه رغم أنني لم أكن لأفيده بشيء، فطالما
وجدت غضاضة في تبذير كل ذلك المال على أشياء
لم تكن تصلح - في نظري - لأكثر من تزيين الصالون
أو غرفة المعيشة.
تشاجرت هذا المساء مع زوجتي، ففعلت كما أفعل
دائماً، صفقت الباب ورائي وخرجت. جبت الأزقة
والشوارع بياس لأقرر أن أبيت عند صديقي «أبو
التحف».
اصطحبني إلى إحدى الغرف المخصصة للضيوف،
تمنى لي ليلة هانئة وذهب. وبما أنني كنت متعباً،
فقد استلقيت على السرير فور مغادرته.
في تلك اللحظة التي تفصل بين اليقظة والنوم،
سمعت صوت همسات آتية من أسفل، ظننت في
البداية أنني أتخيل، وبعد برهة تأكدت من أن الصوت
حقيقي، فخمنت أن هناك امرأة تقاسمه فراشه.
حسدته من أعماق قلبي على ليلته الرومانسية
بينما أنام وحيداً.
— لم تكن تريد الزواج، ولكنك لا تمانع إقامة علاقات
غرامية. يا لك من ساقط! قلت في نفسي.
أغمضت عيني محاولاً الاستغراق في النوم، فجأة
تعالى صوت موسيقى كسرت السكون. إنهما
يرقصان. اللعنة أي ليلة هذه!
دسست وجهي في الوسادة لتجاهل ما يقع في
الأسفل، لكن الصوت لم ينقطع. كانا يرقصان بصخب
كمهووسين. جلست فترة على طرف السرير، ثم
نهضت متتبعاً مصدر الصوت. هذه أول مرة أتجرأ
على النزول إلى الطابق السفلي رغم سنوات الصداقة
التي جمعتنا. يبدو أن الفضول أعمائي أو شعورَ
بالوحدة هو ما يدفعني لأشاركهما جلستهما، لا
يهم السبب الحقيقي. عند آخر درجة دهست شيئاً
ما، شيئاً له صوت كصوت طفل، إنها دمية خرجت
بطاريتها وأسلاكها. حملت الدمية بين يدي ورفعت
عيني أمسح الفضاء من حولي. أعطاني المكان
انطباعاً بأنني في متحف مصغّر: منحوتات ودمى
ومزهريات و أباجورات ولوحات.. اقتناها على مدى
سنوات تغطي الغرفة. بعضها موضوع بعناية في
مكانه وبعضها الآخر ينتظر دوره. تقدمت بخطوات
وئيدة ورحت أرقب بدهشة هذا العالم المريب،
المخالف للتوقعات. لم أصدق؛ كنت أمام عدد هائل
من الدمى والمانيكانات المعلقة بخيوط على الحائط.
في الجهة الأخرى كان يمسكها من خاصرتها
ويرقصان بتناغم أنيق.
كان يحضنها حينما همس في أذنها:
— هيا نخلع أقنعتنا، وإذا شئت فلنتبادل. ارتدِ
قناعي المزيف ولأرتدِ قناعك الذي بلا تعابير.
انتبهت أنني بقيت بلا حراك، فاغراً فمي، كمن أصيب
بصعقة في أعماقه، فصعدت الدرجات فوراً وغادرت
المنزل. وصلت أخيراً إلى المنزل بأنفاس متقطعة،
تطاردني الصور والأصوات والأسئلة.
أيهما يعد وعاء لمشاعر وحياة الآخر؟
من الذي علم الآخر الرقص؟ أقصد صديقي والمرأة-
المانيكان.
هكذا كان علي أن أكتشف متأخراً أنه كان منقسماً بين
عالمين متوازيين، وأدرك أن الحياة في الطابق العلوي
مجرد ظلال لحياته في عالمه السفلي.
لا أعرف أي صدفة ألقت بي بعد ذلك قرب محل لبيع
الملابس النسائية. من داخل سيارتي ظلت عيناي
مثبتتين على مانيكان واقفة في واجهة محل زجاجي.
ولا أعرف أيضاً أي جنون استبد بي وجعلني أسارع
لدخول المحل - وكان هناك من قد يسبقني ويأخذها
مني خلال الثواني التي تفصل بين خطواتي من
السيارة باتجاه الباب - وعرض ثمن خيالي للبائعة
التي ظلت تغالب اندهاشها أمام إصراري.
أخذت المانيكان وخباتها داخل خزانة في غرفة
المكتب، ومنذ ذلك اليوم فصاعداً، صارت زوجتي
تقول إنها تسمع صوت موسيقى صاخبة وضحكات
تنبعث من غرفتي.

* وجدة/ المغرب

جيورجيو دي كيريكو: الثيغونة مغزّلة (زيت على قماش، 1973).

تاريخ

التغيّر المناخي... كيف رسم خرائط الدين في العالم؟

إعداد **زياد منى**

يُظهر أحد علماء الاتجاهات الدينية البارزين في العالم كيف أدى تغير المناخ إلى اضطرابات دينية دراماتيكية. قبل فترة طويلة من العصر الحالي مع تغير المناخ من صنع الإنسان، عانى العالم صدمات متكررة وحادة بسببه، أدت إلى المجاعة والمرض والعنف والاضطراب الاجتماعي والهجرة الجماعية. لكن تلك الصدمات كانت أيضاً أحداثاً دينية. وغالباً ما تم فهم التحولات الدراماتيكية في المناخ من منظور ديني من الأشخاص الذين عانوها حيث تم وصفها بلغة نهاية العالم والآلفية وبوم الحساب. في كثير من الأحيان أيضاً، تميزت العصور التي حدثت فيها هذه الصدمات بتغيرات بعيدة المدى في طبيعة الدين والروحانية. وقد اختلفت هذه التغييرات على نطاق واسع من تنامي الحماسة والالتزام الدينيين، إلى إثارة التوقعات الصوفية والمروعة، وموجات الاضطهاد والاضطهاد الديني، أو ظهور حركات وإحياء ديني جديد. في كثير من الحالات، كانت لهذه الاستجابات تأثيرات دائمة، بحيث أعادت تشكيل تقاليد دينية معينة على نحو أساسي.

في مؤلفه «المناخ والكارثة والإيمان: كيف يقود التغير في المناخ إلى اضطرابات دينية» (منشورات جامعة أوكسفورد ـ 2021)، يستخلص فليب جنكنز، أستاذ «إدوين إيرل سبراكس للعلوم الإنسانية في التاريخ والدراسات الدينية» في جامعة ولاية بنسلفانيا وزميل أول متميز في معهد دراسات الدين في جامعة بايلور، العلاقة المعقدة بين الدين وتغيّر المناخ. يؤكد أنّ الحركات والأفكار الدينية التي تظهر من الصدمات المناخية غالباً ما تستمر عقوداً عديدة، بل تصبح جزءاً مألوفاً في المشهد الديني، مع أن أصولها في لحظات معينة من الأزمات قد يتم نقلها بشكل متزايد إلى الذاكرة البعيدة. فقد أعادت التغيرات في المناخ رسم الخرائط الدينية للعالم، وخلقت التجمعات العالمية للمؤمنين كما نعرفهم اليوم، من خلال إثارة النزاعات وإثارة الاضطهادات التي عرّفت نفسها بمصطلحات دينية.

ستغير هذه الحجة الجديدة الجريئة الطريقة التي نفكر بها في تاريخ الدين، بغض النظر عن التقاليد، وكيف من المرجح أن يكون لأزمة المناخ المتنامية تأثير ديني مماثل في الجنوب. ومع أننا لا نستطيع التنبؤ بالأحداث المستقبلية بأي قدر من اليقين، فإن خلفيتنا التاريخية توفر بعض الإرشادات بشأن الأنماط المحتملة. عندما ننظر إلى التطورات المعاصرة في كل من الإسلام والمسيحية والصراعات بين الأديان عبر أفريقيا وآسيا، فمن الصعب أن نتخيّل أنّ التغيرات المناخية الكارثية قد لا تلهم الاستجابات الدينية. وأحد الأمثلة المشهورة لمثل هذا التحول خلال ما يسمى بطاعون قبرص الذي دمر الإمبراطورية الرومانية خلال منتصف القرن الثالث. فقد اكتسبت الحركة المسيحية الصغيرة في ذلك الوقت رصيداً هائلاً بسبب العمل الذي قام به المؤمنون من رعاية المرضى والحفاظ على شبكات الدعم. أما الوثنيون، فقد تصرفوا على نحو واضح أقل شجاعة وأقل إيثاراً. وعندما تلاشى تهديد الطاعون في النهاية، نمت أعداد المسيحيين نمواً هائلاً، ما منح الكنيسة وجوداً قوياً في المجتمع ومنافساً معقولاً للهيمنة الوثنية الثقافية.

وفي القرن السادس من التاريخ الشائع، أدت كوارث المجاعة والطاعون الناجمة عن البراكين إلى تأجيج الأزمات الدينية المستمرة في الإمبراطورية الرومانية، وقد تجلت في التفسيرات اللاهوتية لطبيعة المسيح. أشارت الانقسامات الرومانية الناتجة عنفاً واسع النطاق بين المؤمنين من الأرثوذكس والكاثوليك والحركات المتنافسة من المؤمنين بالطبيعة الأحادية والنسطوريين التي استمرت حتى القرن السابع عندما دمر الإسلام الناشئ الإمبراطورية المسيحية. كما قدمت هجمة مناخية جديدة في عشرينيات القرن السادس انقلاباً في «الضربة القاضية» هو حدث عالمي لا يزال غير مدروس ويفترض أنه انفجار بركاني ملحمي القوة ترك ندبة لا لبس فيها في سجلات حلقات الأشجار في أمكنة بعيدة مثل أميركا الشمالية. أثار هذا الحدث تجدد الأزمات عبر أوراسيا على مدى السنوات الخمس المقبلة، حيث قضت البرودة والظلام المفاجئ على قطعان الماشية، مما عجّل انهيار الإمبراطورية التركية الشرقية التي كانت آنذاك أقوى دولة في شمال شرقي آسيا. كما أدت الهجرة الجنوبية للشعوب التركية الأخرى إلى هجمات ساحقة على الإمبراطورية الفارسية المتعثرة بالفعل، إذ عانت بلاد ما بين النهرين الآن وباءً قتل نصف سكانها. وفي جزيرة العرب المجاورة، كان ذلك الوقت الذي كان النبي محمد يكافح فيه النخب التجارية الثرية ويبشر برسالة حكم إلهي بدت فجأة أكثر أهمية. ومع أن تسلسل الأحداث غير مؤكد، إلا أن الكارثة قوّضت القادة التقليديين ودمرت إمداداتهم الغذائية وشبكات التجارة، وفتحت الطريق أمام النظام الإسلامي الثوري الجديد الذي توسّع خارج جزيرة العرب، وغزا الدول والإمبراطوريات القديمة التي تم إضعافها وقتئذ على نحو قاتل. لقد حطم تعاقب الكوارث المناخية الكنائس والهياكل المؤسسية القائمة منذ فترة طويلة عبر القارات وفتح الباب أمام كيانات جديدة تماماً.

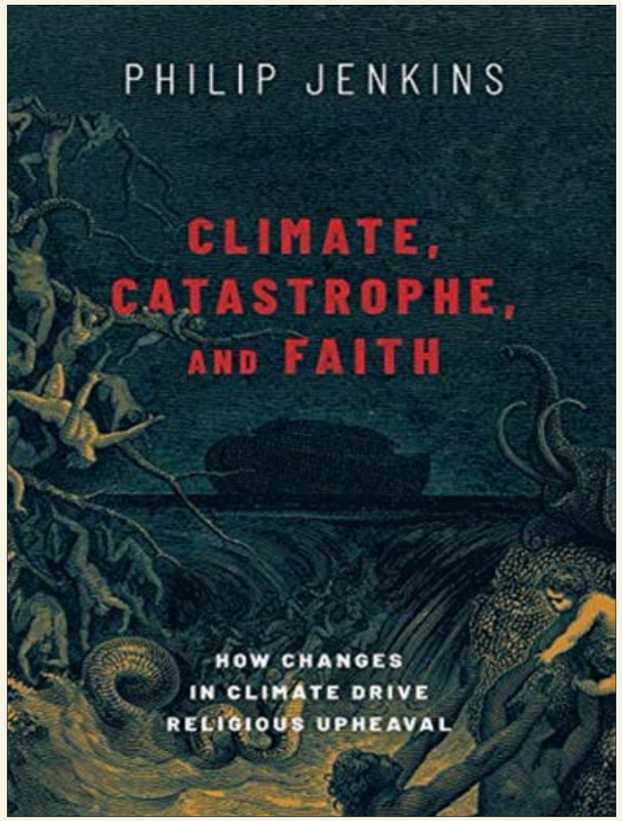

كوارث المجاعة والطاعون أجّجت الأزمات الدينية في الإمبراطورية الرومانية

امتدت العواقب الدينية أكثر من ذلك. كما هي الحال في كثير من الأحيان في العصور المتعاقبة، استجابت الأقليات المؤثرة للأزمة بالانسحاب من عالم فاشل، مثل الرهبان أو النساك. في حالة القرن السادس، أسهم عصر المجاعة والظلام بقوة في صعود الحركة الرهبانية النابضة بالحياة والمؤثرة بعمق في إيرلندا وعوالم سلتيك الأخرى. لقد أنهت كوارث القرن السادس الإمبراطورية الرومانية فعلياً كما كانت معروفة منذ خمسمئة عام وبشرت بواقع جديد أشد قتامة في بدايات العصور الوسطى.

الأمثلة الأخرى كثيرة، كما يقول المؤلف. أربعينيات القرن السادس عشر كانت وقتاً للعديد من الكوارث في جميع أنحاء العالم، وليس فقط في أوروبا، عندما كانت الآفات الطبيعية مثل الجوع والأوبئة وأزمات الكفاف مصحوبة بحرب شديدة وفرض ضرائب باهظة واضطراب اقتصادي، وتضاعف الضغوط التي تثير المقاومة والثورة. كانت العواقب الدينية في أوروبا متنوعة وواسعة، بما في ذلك القتال الوحشي والاضطهاد الذي حرّض البروتستانت على الكاثوليك، والكاثوليك على الأرثوذكس والمسيحيين الآخرين من الأطياف جميعاً، وكذلك على اليهود (الأشكناز – ز م). كانت السنوات نفسها حاسمة في تشكيل وتعريف العديد من الجماعات الدينية التي أصبحت في ما بعد قوى عالمية في حد ذاتها، بما في ذلك المعمدانيون والمشيخيون والكويكرز وغيرهم. على المدى الطويل، أثارت وحشية الصراع الديني والاضطهاد في تلك السنوات رد فعل أرسى أسس عصر التنوير، وفي النهاية ظهور السياسة والفلسفات العلمانية. لقد خلق تغير المناخ العالم الديني الذي نعرفه في التاريخ الحديث.

في عام 1362، اجتاح إعصار هائل شمال أوروبا وغربها كان يُذكر باسم «الغرق العظيم». وصلت أعداد الوفيات إلى عشرات الآلاف بل حتى إلى مئات الآلاف وفق إحصاءات مختلفة، وتهدمت آلاف المباني، وغرقت أساطيل السفن، وتحطمت بعض الموانئ التي كانت في يوم من الأيام كبيرة إلى درجة أنها لم تتعاف أبداً.

تبعت ذلك كوارث ملحمية أخرى خصوصاً خلال فترات التغير المناخي الأكثر حدة. ففي عام 1562، تعرضت أوروبا الوسطى لعواصف رعدية شديدة لدرجة دفعت المعاصرين إلى البحث عن أسباب خارقة للطبيعة، من المحتمل أن تكون موجهة من السحرة.

وفي تسعينيات القرن الخامس عشر، تسبّب تغير المناخ في أزمة شاملة في الإمبراطورية العثمانية، تجلت في الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعرف باسم «مناخ التمرد». وقد شهدت السنوات 1437-1438 أسوأ المجاعات الأوروبية في القرن بأكمله وتجلت المظاهر التي في شكل طوائف «خلاصية»، مع القديسين والأضرحة المناسبة، بينما وجد كبش فداء للأقليات الشريرة أو التآمرية تركيزاً جديداً حاداً في الروما (الغجر).

في أحد آخر خطابات الرئيس الأميركي جو بايدن التي تحدث فيها عن انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان وإنهاء احتلالها لذلك البلد، قال إن سوريا وشرقي إفريقيا ذات أهمية أكبر لسياسات بلاده الإرهاب والنقل غير القانوني للمشتبه بهم بالإرهاب خلال التسعينيات، في إطار برنامج أذن به الرئيس الأميركي آنذاك كلينتون، ويتضمن اعتقال ونقل إسلاميين مصريين منفيين من مواقع حول العالم إلى مصر لتعذيبهم، لينتهي أمرهم إلى الاختفاء والقتل غدراً في كثير من الأحيان. من الموثق جيداً أن الولايات المتحدة كان لها دور كبير في تدريب المصريين المنفيين والإسلاميين العرب الآخرين وتمويلهم ليكونوا وكلاءها ضد السوفييت في أفغانستان، لمدة تصل إلى ستة أشهر قبل الغزو السوفيتي. بعد انسحاب القوات السوفيتية، حوّل العديد من هؤلاء المقاتلين تركيزهم إلى إسقاط أنظمتهم الوطنية، ولا سيما مصر. وقد ساعدت واشنطن في تدريب أولئك المنشقين وتجهيزهم. الآن، في محاولة مشؤومة لإعادة جني المجاهدين إلى قمقمه، تدعم مصر بنشاط في القضاء على المعارضة في المنفى، من خلال القبض على أعضاء جماعات المعارضة وتسليمهم إلى الحكومة المصرية، حيث واجهوا احتمال تعرضهم للتعذيب والموت في كثير من الأحيان».

يقدم هذا المؤلف تحليلاً لتأثير «الحرب على الإرهاب» في شرقي إفريقيا، ويرسم صورة خطيرة لتأثيراتها، وهو ثري بالمعلومات ويظهر كيف أن عمليات وسياسات مكافحة الإرهاب قد خلقت أجهزة أمنية وطنية وإقليمية أصبحت أدوات للأنظمة الاستبدادية وتستخدم لإسكات المعارضة المدنية.

يناقش أحد فصول المؤلف الخمسة عشر والثري بمصورات الوثائق الرسمية ذات الصلة، شبكة السجون غير القضائية والعسكرية التي تم استخدامها لاحتجاز واستجواب ما يسمى معتقلون ذوو قيمة عالية. وتتناول الكاتبة في فصل آخر عنصراً مثيراً للجدل للغاية في التاريخ «الحديث» للترحيل السري، وبشكل أكثر تحديداً مشاركة المملكة المتحدة في ممارسات الترحيل السري الأميركية. توفر الكاتبة تاريخاً موجزاً لجزيرة دييغو غارسيا وأهميتها الاستراتيجية لقدرات التشغيل الأمامية للمملكة المتحدة والولايات المتحدة في المنطقة. كما توجه الكاتبة انتباهها على نحو أكثر تحديداً إلى الإجراءات الأميركية والتعاون معها في سلطات الدولة في شرقي إفريقيا، مع التركيز على كينيا حيث شاركت في وضع سياسات وإجراءات مكافحة الإرهاب فيها. ويبدو أن الدولتين تعاونتا بشكل وثيق في مسألة الاعتقال والتسليم السري، وكذلك مع السلطات الصومالية في ذلك الوقت.

خصّصت الكاتبة قسماً من مؤلفها لاستخدام المسيرات في عمليات القتل المستهدف، وتحديداً في شرقي إفريقيا، منوهة إلى استخدام واشنطن مطار جيبوتي وتطوّر برنامج المسيرات في فترة رئاستي جورج دبليو بوش وباراك أوباما. كما تستكشف الرابط بين «النهج الاستثنائي للولايات المتحدة تجاه القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني»، وثقافة الإفلات من العقاب وأيضاً العلاقة بين عمليات مكافحة القرصنة وإجراءات مكافحة الإرهاب، لا سيما في ما يتعلق بالصومال، في حين أن هاتين المسألتين قد تبدوان غير ذات صلة، فقد كانت هناك حالات تم فيها القبض على إرهابيين مشتبه بهم ونقلهم بواسطة سفن مناورات مكافحة القرصنة أو احتجازهم في سجون مكافحة القرصنة. تجمع الكاتبة روايات شهود العيان والشهادات الشخصية ومقتطفات من الوثائق الرسمية لبناء صورة تقشعّر لها الأبدان لجهاز شرير من عدم الشرعية والإرهاب الذي طوره الجيش الأميركي وقادته السياسيون في المنطقة لفرض الأهداف طويلة المدى للحرب. طبيعي أن مواضيع المؤلف أكثر مما يسمح به هذا العرض المقتضب، وهو مثير للقلق لكنه، بحسب أحد المعلقين، ضروري للغاية لأنه يسلط الضوء على عمليات الترحيل والاعتقالات السرية والقتل خارج نطاق القانون، والامتداد المذهل للقوة الأميركية والبريطانية في الأنظمة السياسية الإفريقية، فضلاً عن حرص حكومات شرقي إفريقيا على استخدام «الحرب على الإرهاب» لتبرير مراقبتها المواطنين العاديين، وتعذيب المعارضين السياسيين، والاعتداء على القضاء الوطني، والعنف ضد الأقليات. ننهي عرضنا باقتباس قول للكاتبة «ما تعلمته في سياق العمل الذي تم سرده في هذا الكتاب هو أنه في منطقة «الأمن القومي»، التي تهيمن عليها انقسامات الحرب على الإرهاب، لا توجد فئة ثالثة بخلاف الصديق أو العدو، ولا توجد مساحة محمية للعدالة وحقوق الإنسان».

سياسة

ما فعلته «الحرب على الإرهاب» بشرقي إفريقيا

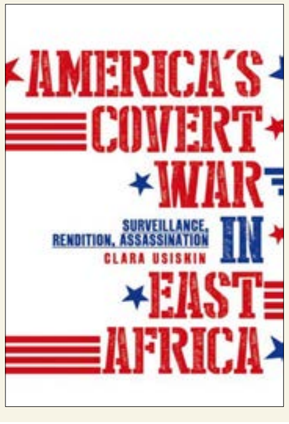

أجهزة أمنية وطنية وإقليمية أصبحت أدوات للأنظمة الاستبدادية

America's Covert War in East Africa: Surveillance, Rendition, Assassination. hurst & company (2019). extent: i-xi, 296 pages. illustrated. CLARA USISKIN

جف هالبر: استعمار استيطاني لا «صراع إسرائيلي فلسطيني»

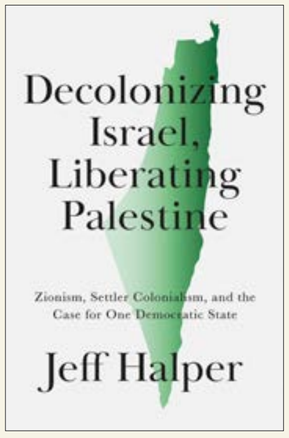

يوضح المؤلف أنّ كتابه تحليل إسرائيلي للاستعمار الاستيطاني

في الوقت الذي لا تتوقف فيه سلطة أوسلو العميلة والمتصهينة عن التكرار الممجوج والبليد للمقولة التضليلية عن «حلّ الدولتين» الذي كان دائماً مجرد أداة ساخرة لإدارة الصراع ولم يولد أصلاً سوى في مخيلة قيادات فتح ومنظمة التحرير الفاشلة منذ تخليها عن مشروع العمل الفدائي لصالح ثورة أموال البترودولار، نرى كثيراً من الكتاب والمفكرين في العالم [باستثناء الفلسطينيين والعرب] لا يتركون مناسبة من دون طرح آرائهم ورؤيتهم لكيفية مساعدة الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه في وطنه وإعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية كونها مسألة تتعلّق بالقضاء على الاستعمار الاستيطاني الصهيوني (وليست نزاعاً عقارياً بين طرفين وفق برنامج سلطة أوسلو العميلة!). كتاب «القضاء على إسرائيل المستعمِرة وتحرير فلسطين: الصهيونية والاستعمار الاستيطاني والحجة لصالح الدولة الديمقراطية الواحدة» (بلوتو برس ـ 2021) هو أحد الإسهامات المهمة في المكتبة الفلسطينية ومكتبة الصراع العربي الصهيوني.

يقول المؤلف: «لقد تحدثنا منذ عقود عن «الصراع الإسرائيلي الفلسطيني»، لكن مفهوم الاستعمار الاستيطاني يقدم فهماً أوضح لمشروع الحركة الصهيونية لإقامة دولة يهودية في فلسطين وتهجير السكان العرب الفلسطينيين وتهميش وجودهم الثقافي. يجادل جف هالبر وهو رئيس اللجنة الإسرائيلية لمناهضة هدم المنازل وعضو مؤسس في حملة الدولة الديمقراطية الواحدة، بأن السبيل الوحيد للخروج من الوضع الاستعماري هو إنهاء الاستعمار، أي: استبدال الدولة الديمقراطية الواحدة، التي يقوم الفلسطينيون والعبيد الإسرائيليون فيها بتشكيل مجتمع مدني جديد ومجتمع سياسي مشترك بتفكيك الهياكل الصهيونية للسيطرة بالكيان الصهيوني. لإظهار كيف يمكن القيام بذلك، يستخدم هالبر برنامج النقاط العشر لحملة الدولة الديمقراطية الواحدة كدليل للتفكير خلال عملية إنهاء الاستعمار، ومن ثم مرحلة ما بعد الاستعمار. ستعمل إعادة صياغة هالبر الثابتة على تمكين النشطاء الذين يقاتلون من أجل حقوق الفلسطينيين والديمقراطية للجميع.

يقول المؤلف إن الدولة الواحدة موجودة بالفعل، والسؤال هو: كيف يمكن تحويل دولة الفصل العنصري الاستعماري الاستيطاني إلى دولة ديمقراطية علمانية لجميع مواطنيها. يجادل الكاتب بأنه يجب إعطاء الأولوية للسرد الفلسطيني من حيث النضال ضد الاستعمار، كما يجب على السكان المستوطنين الاستعماريين التعامل مع المستعمَرين من خلال الاعتراف بدورهم الضمني في الاستيلاء على فلسطين. يوضح هالبر أن المؤلف تحليل إسرائيلي للاستعمار الاستيطاني، ويضيف: «هذا ليس مؤلفاً قد يكتبه فلسطيني، لكن نأمل أن يجده الفلسطيني مفيداً». يقر هذا البيان بأهمية التمييز بين الرواية الفلسطينية والإسرائيلية، وإفساح المجال للأولى، مع تضمين الثانية كمرفق فقط.

من خلال تتبع منطق الاستعمار ونزع الملكية، يجادل هالبر بأن إنهاء الاستعمار يجب أن يبدأ من الوضع الاستعماري نفسه. لكن «مشروع المستوطنين لا يريد تحديد حدوده النهائية حتى يتم دمج كل «المنطقة غير المحدودة» مادياً وقانوناً» وبدعم من الوضع الاستعماري الاستيطاني الأوروبي، فضلاً عن أن شرعنة المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني على الساحة الدولية، مكنت «إسرائيل» من تأكيد وجودها من خلال عدة أشكال من العنف. ويناقش المؤلف هذه الأشكال العنفية بالتفصيل، ضمن خلفية من التداعيات السياسية على الشعب الفلسطيني.

ينسج هالبر وصفاً معقداً لكيفية مساعدة وتحريض الاستحقاق اليهودي والشرعية الممنوحة دولياً للمشروع الاستعماري من قبل الأمم المتحدة، بالقول: «عهدت عن علم بمصير شعب بأكمله إلى حركة استيطانية معلنة استحقاقها الحصري للبلاد، واستعدادها لتوظيف الفتح العنيف والترحيل».

أدى التحول التدريجي من المقاومة المناهضة للاستعمار إلى الدبلوماسية من قبل الفلسطينيين إلى استمرار «حلّ» الدولتين لصالح «إسرائيل»، يؤكد تحليل هالبر أنّ منظمة التحرير الفلسطينية كانت تعلم أن حلّ الدولتين لن يتحقق، ومع ذلك فإن براغماتيتها، أي سياساتها الذرائعية، تضفي الشرعية أيضاً على وجود «إسرائيل». كما استخدم المجتمع الدولي الخسارة المستمرة للأراضي والقيود الاقتصادية وتراجع التنمية الفلسطينية ضد المستعمرين. خاضعاً للاقتصاد النيوليبرالي، ازداد انقسام المجتمع الفلسطيني بسبب قرار المؤسسات الدولية إعطاء الأولوية للضفة الغربية المحتلة على غزة من حيث التنمية، وإن كانت لا تزال تحت السيطرة الإسرائيلية.

في غضون ذلك، عمّقت اتفاقيات أوسلو الرواية الأمنية الإسرائيلية وتعاون السلطة الفلسطينية مع إسرائيل. على الصعيد الاقتصادي، أدى الحرمان بين السكان إلى تحول نسبة من الفلسطينيين إلى مخبرين لإسرائيل. مع دعم جميع المكونات للرواية الأمنية الإسرائيلية، وبالتالي إضفاء الشرعية على مفهوم الصراع، تم تهميش القضايا الحقيقية للاستعمار الاستيطاني.

ومع ذلك، كتب هالبر أن فشل الصهيونية في القضاء التام على السكان الفلسطينيين يترك إنهاء الاستعمار كطريق للمضي قدماً. يلاحظ المؤلف أنه منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، شارك الفلسطينيون بنشاط في المقاومة اليومية، أو الصمود. إن النهج القائم على الحقوق، وهو ما أدرجه الفلسطينيون في كفاحهم ضد الاستعمار، يتعرض للخطر بسبب حقيقة أن الاستعمار الاستيطاني غير مدرج في إعلان الأمم المتحدة بشأن منح الاستقلال لليلدان المستعمرة. وبالتالي، فإن المسار القانوني والسياسي لإنهاء الاستعمار يحتاج إلى معالجة، ويرجح ذلك بشكل أكبر إلى حقيقة أن الدولة الواحدة ما زالت لا تعتبر خياراً، ناهيك بالطريق إلى الأمام.

ecolonizing Israel, Liberating Palestine: Zionism, Settler Colonialism, and the Case for One Democratic State (2021)

أوراق

نخلتا حلوان

زكريا محمد *

مطيع ابن إياس الليثي شاعر من أهل فلسطين، خليع، سكّير، فاسق، ملعون، خلدته نخلتان.

يقول عنه أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني»: «شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء في هذه أو تلك. ولكنه كان ظريفاً، خليعاً، حلو العشرة، مليح النادرة، ماجناً، متهماً في دينه بالزندقة، ويكنى أبا سلم. ومولده ومنشؤه الكوفة، وأبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير و[قيس] ابن الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوج بها، فولد له مطيع». وكانت له صحبة من الخلعاء الفاسقين، الذين كانوا ربما الأشد خلاعة في تاريخ الثقافة العربية، ومنهم والبة بن الحباب وحماد عجرد وغيرهم. ويروي لنا أبو الفرج شيئاً من قصصهم وقصص مطيع:

«حضر مطيع بن إياس، وشراعة بن الزندبوذ، ويحيى بن زياد، ووالبة بن الحباب وعبد الله بن العياش المنتوف، وحماد عجرد، مجلساً لأمير من أمراء الكوفة، فتكايدوا جميعاً عنده. ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ويهجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم، ثم هجاهم بهذين البيتين وهما

وخمسةٍ قد أبانوا لي كيادهم
وقد تلظى لهم ملقى وطنجير
لو يقدرون على لحمي لمزقه
قردٌ وكلبٌ وجرواه وخنزير».

وسقط له مرة حائط، فقال له بعض أصحابه: «احمد الله على السلامة»، فقال: «احمده أنت الذي لم تَرُعْك هدّتُه، ولم يصل إليك غباره، ولم تغرم أجرة بنائه».

ويبدو أن جده أبا قرعة الكناني، واسمه سلم بن نوفل كان أيضاً لَسِناً قاطع الرد. وله قصة تشاحن مع ابن الزبير تدل على ذلك:

«كانت بينه وبين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضة. فدخل سلم وابن الزبير يخطب الناس، وكان منه وجلاً، فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس، فلما انصرف من المجلس دعا حرسياً، فقال: امض إلى موضع كذا وكذا من المسجد، فادع لي سلم بن نوفل. فمضى فأتاه به، فقال له الزبير: إيهاً أيها الضّب. قال: إني لست بالضّب، ولكن الضّب بالضمر من صخر. قال: إيهاً أيها الذيخ. قال: إن أحداً لم يبلغ سني وسنك إلا سمي ذيخاً «الذيخ: ذكر الضباع المسن». قال: إنك لها هنا يا عاض بظر أمه. قال: أعيذك بالله أن يتحدث العرب أن الشيطان نطق على فيك بما تنطق به الأمَة الفَسْلة».

لكن قصيدة واحدة خلّدت مطيعاً الخليع اللوطي الملعون، وجعلته أسطورة في التراث العربي، وهي قصيدة قالها في نخلتين بحلوان. وحلوان مدينة بالعراق قريبة من خانقين. وما من نخلتين، ما من شجرتين، في التاريخ العربي كله كانت لهما شهرة هاتين النخلتين بسبب قصيدة مطيع:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يفرق بين الألاف والجيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفرقة قد أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان
كم رمتني صروف هذي الليالي بفراق الأحباب والخلان
غير أني لم تلق نفسي كما لاقيت من فرقة ابنة الدهقان
جارة لي بالري تذهب همي ويسلي دنوها أحزاني
فجعتني الأيام أغبط ما كنت بصدعٍ للبين غير مدان
وقد لحنت هذا القصيدة، وخاصة أبياتها الأولى، وغنيت وسارت على كل لسان. بل إن مثلاً ابتدع لهاتين النخلتين يقول: «أطول صحبة من نخلتي حلوان». والإسعاد هو المشاركة في الحزن والألم. بذا فهو يطلب من النخلتين مشاركته ألمه من فراق الأحبة. وهو يتنبأ لهما بأن ألم الفراق سيصيبهما هما أيضاً.

وينقل عنه أنه قال قصيدته في جارية له يقال لها جودانة: «كانت لي جارية يقال لها جودانة كنت أحبها، فأمرني سلم بالخروج معه، فاضطررت إلى بيع الجارية، فبعتها وندمت على ذلك بعد خروجي، وتمنيت أن أكون أقمت، وتتبعتها نفسي، ونزلنا حلوان، فجلست على العقبة أنتظر ثقلي وعنان دابتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى، فتذكرت الجارية واشتقتها، وقلت:

أسعداني يا نخلتي حلوان
وابكيا لي من ريب هذا الزمان».

وذكر الجاحظ أن مطيعاً حلف أن هذه الجارية كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتفاها ومأكمتاها، فيتدحرج تحتها الرمان فينفذ إلى الجانب الآخر.

لكن يقال إنه قالها في امرأة أخرى، وأن جاريته كانت مجرد غطاء لحب هذه المرأة السري. وأياً كان الأمر، فإن أبيات مطيع في النخلة تحولت إلى رقية للحب، فلحّنها وغناها أكثر من واحد في العصر العباسي. ثم أصبحت النخلتان طوطماً معبوداً للشعراء من بعده. وزاد الأمر غرابة أنّ قصة النخلتين اشتبكت بطريقة ما مع سيرة عدد من الخلفاء العباسيين.

آنا كرامينغ (غرافيت على ورق ـ 2020)

> مطيع ابن إياس الليثي شاعر من أهل فلسطين، خليع، سكّير، فاسق، ملعون، خلدته نخلتان

قطع النخلتين

إذ يقال أنه لما خرج الرشيد إلى طوس، هاج به الدم بحلوان، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُمّاراً- والجمار لب أبيض في رأس النخلة يؤكل ويتداوى به- فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جماراً، فأعلمه أنّ بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فأمر بقطع إحداهما. فقطعت، فأتي الرشيد بجمارتها، فأكل منه ونفعه. فلما انتهى إلى العقبة، نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة، وإذا على [النخلة] القائمة مكتوب:

أسعداني يا نخلتي حلوان
وابكيا لي من ريب هذا الزمان
أسعداني وأيقنا أن نحساً
سوف يلقاكما فتفترقان

فاغتم الرشيد، وقال: يعز عليّ أن أكون نحستكما، ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم.

لكن القصة تنسب للمهدي وللمنصور أبيه أيضاً:

«نخلتا حلوان: يضرب بهما المثل في طول الصحبة. وكان المهدي خرج إلى أكناف حلوان متصيداً، فانتهى إلى نخلتي حلوان، فنزل تحتهما وقعد للشرب، فغناه المغنّي:

أبا نخلتيْ حُلوان بالشِّعب إنَّما
أشَدُّ كما عن نخْل جوخَى شَقاكُما
إذا نحنُ جاوزنا الثنيَّة لم نزَل
على وجلٍ من سيرِنا أو نراكما

فهمَّ بقطعهما، فكتب إليه أبوه المنصور: مه يا بني، واحذر أن تكون ذلك النحس الذي ذكره الشاعر في خطابهما، حيث قال: واعلما إن علِمتُما أنَّ نحساً سوفَ يلقاكُما فتفترِقانِ» (نفح الريحانة، المحبي).

باختصار، صارت النخلتان أسطورة عند الشعراء والمثقفين. وصار كل واحد يريد أن يكتب في نخلتي حلوان. مثلاً، قال حماد عجرد صديق مطيع الخليع:

جعل الله سدرتي قصر شيرين فداءً لنخلتي حلوان
جئت مستسعداً فلم يسعداني ومطيعٌ بكت له النخلتان.

أما الأعمى التطيلي في الأندلس فقد ذكر النخلتين نخلتي حلوان مع أهرام مصر:

خذا حدّثاني عن فل وفلان
لعلي أرى باقٍ على الحدثان
وعن دول حسن الديار وأهلها
فنين وصرف الدهر ليس بفان
وعن هرمي مصر الغداة أمتعا
بشرخ شباب أم هما هرمان
وعن نخلتي حلوان كيف تناءتا
ولم توطيا كشحاً على شنآن
وطال ثواء الفرقدين بغبطة
أما علما أن سوف يفترقان؟!
وزايل بين الشعر بين تصرف
من الدهر لا وان ولا متوان
فان تذهب الشعرى العبور لشأنها
فإن الغميصا في بقية شان
وجن سهيل بالثريا جنونه
ولكن سلاه: كيف يلتقيان؟!
وهيهات من جور أزمان وعدله
شآمية ألوت بدين يماني
فأجمع منها آخر الدهر سلوة
على طمع خلاه للدبران
وأعلن صرف الدهر لابني نويرة
بيوم ثناء غال كل تدان
"وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر" لو لم تنصرم لأوان
وهان دم بين الدكادك واللوى
وما كان في أمثالها بمهان
فضاعت دموع بات يبعثها الأسى
يهيجه قبر بكل مكان.

* شاعر فلسطيني